رحلة

في فكر مغترب

تأليف

نورا الهاشمية

*تقبل

كشخصٍ لم يسبق له الإبتعادِ عن منزلهِ لوهلة، بل للحظة، أو قُل فترة، مِن الصعبِ جدًا أن يتَخذَ قرارًا صارمًا يُخالفُ ما اعتادَ عليه! مع وضع علامتي تنصيص على كلمة "يُخالف".

لَم يسبق يومًا أن رأيتُ نفسي بعيدًا عن عَينَي أمي ولو ليومٍ واحد. الأمر الذي يجعلني مُرتبكًا وخائفًا بعضَ الشيء هُوَ ردةِ فعلِ أهل البيتِ بعد عرضي لهم موضوعَ الإبتعاث، والأمر الذي لا ريب فيه أنّه بمجرد ما يتم ذكر دولةٍ أوروبية للإبتعاث

يذهب فِكر الآباء بأنّ ابنهم سينحرف كونه بعيدًا عنهم، ولكون الدولة المبتعث لها ليست مُسلمة!

لا أُخفيكم بأنّني كنتُ في غاية السعادة والحماس ويعتريني ذلك الشعور المتخالج بشعورِ الثقة ما إن أشعر بأنه سيتم قَبولي للدراسة في أحد الجامعات المرموقة بأمريكا.

ولكن؛ اللحظة التي تم قبولي فيها مبدئيًا للإبتعاث، جعلتني طريحَ القرار، ضَريحَ الأُمنية، وخاصةً بعدما تلقيتُ اتصالًا هاتفيًا من أختي الكبرى تُخبرني فيهِ بأنّ رسالة قبولي للإبتعاث جاءت

بهاتف أمي، حينها لم أكُن بالبيت، وما إن قَرَأتها جَهَشَت بالبُكاء، ودموع عينيها كالنهرِ المُنهمرِ على قاعِ أرضٍ لم يسبق لها الخَصب!

تلك اللحظة كانت أشبهُ بانتزاعِ الروح، بيدَ أني ظننتها وحسبتها مُفرحة، تمامًا كبُشرى قدومِ أولِ مولودٍ جديد لعائلةٍ لم يسبق لها الإنجاب لسنين.

الأمر الذي جعلني أجهشُ بالبُكاء، والندم على قراري الذي اعتبرتُه خاطئًا بمجرد أنني علمتُ بأنّ من حملتني بكت وتجرّعت غصّة قراري!

لا أُخفيكم بأنّ أبي لم يَكن مُتشجعًا لهذا القرار

البتّة؛ إلا بعد عدةِ مفاوضاتٍ بينهُ وبينَ أخي الأكبر، مما جعلته يخوضُ معركةَ جِدالٍ وحِراكٍ بينهُ وبينَ فِكره. مما آلَ إليهِ الأخير أن يجعلني في الأمر الواقعِ بأن أتحملَ كافةَ قراراتي، بل جعلني أبصمُ بتوقيعي على ورَقةٍ كتبها بنفسه وتنصُ بأنّ اعتبار ما سيحدث بعد اتخاذ القرار هذا هو مسؤوليتي الشخصية، وهو براءٌ منه!

كل هذهِ الأحداث جعلتني عقيمَ الفكر، عديم الحراك، بل وتوّهم لي بتغييرِ قراري كُليًا، إلا أنني صمّمتُ خوضَ غمار حربي بنفسي، كونُه

هدفي، وهذا الهَدفُ لن يتحققَ إلا بعزيمةِ وحزمةِ

صاحبه، لذلك قررتُ خوضه!

*وقفة فكرية

لم يكن اتخاذا القرار بتلك السهولة ، فلقد كانت ضريبته كبيرة جدا ، على نفسي وعلى أسرتي ، وبالتحديد أمي ، فهاهي تحاول نزع فلذة كبدها ابنها من أحشائها لتناوله لبيئة غريبة عنا دينا ولغة وعاداتا وتقاليدا ، كان ذلك مثل التحدي الأكبر على نفسي وعلى كل من حولي ، هل سترضخ أمي لقراري؟ هل سأكون قادر على تحدي الصعاب والوقوف في وجه الجميع من أجل أحلامي وطموحاتي؟هل سأستطيع أتخاذ قراري

بنفسي دون تدخل من أحد؟هل سأتحمل مسؤولية ذلك القرار بنفسي؟ ، كل القوى كانت ضدي ،إبتداء من أمي التي أجهشت بالبكاء إلى إخوتي وأبي الذين عرفوا ما يعني أن أكون مغتربا ، لكن كل ذلك أعطاني حافز أن أقرر بنفسي ، وأن أتحمل المسؤولية بملء إرادتي ، لم يتدخل أي من أهلي في إتخاذي للقرار ، بل فتح والدي الباب على مصراعيه أمام قراري ، وحملني كافة المسؤولية عن القرار ، جعلني هذا أشعر أني إنسان راشد ولست طفلا ، جعلني هذا أحلق في

سماء الحرية ، جعلني أشعر بأني وحدي الذي أقرر وأتحمل المسؤولية ، وكان دافع كل ذلك هو هدفي الذي وضعته نصب عيني، لم أكن أريد أن أكون كغيري ، كان حب التميز يدفعني أن أبذل قصار جهدي لأحصل على هذه البعثة ، رغم أن البيئة كانت مختلفة ، وهذا بحد ذاته ما يدفع الكثيرمن الناس للخوف من الإقدام على هكذا قرار ، إلا أنني كنت متوقدا حماسا وتفاؤلا ، رغم كل ما عنايته أثناء أتخاذي للقرار ، ربما لأني كنت أدرك حجم المغامرة ، وبدأت أفكر خارج

نطاق راحتي ، وكلما خرج الإنسان من نطاق راحته كان هذا له تحديا أن يجرب ومن تجربته يستخلص عملا مبدعا ، لذلك قررت أن أحلق في سماء الإبداع ، بعمل مغامرة لا تخطر على بالي ولم أتوقعها أنا بنفسي أبدا ، علمتني معنى المسؤولية ومعني إتخاذ القرار ، وتعلمت منها أن المغامرة والخروج من منطقة الراحة هو الخطوة الأولى لإنجاز عاهدت نفسي عليه ووعدت نفسي به.قررت أن أغترب ، وأتحمل المسؤولية.

*سؤال وجواب

تعلمنا سابقا من القصة لذة إتخاذ القرار ، ولذة تحمل المسؤولية ، السؤال الذي يطرح نفسه هنا لو كنت مكاني أيها الشاب كيف تتخذ قرارك؟كيف تحدد هل تتحمل المسؤولية أم لا ؟ ، السؤال قد يكون سهلا ، لكن الإجابة عليه تحتاج إلى مزيد من التركيز ، يقول خبراء التنمية البشرية ، أن لكل إنسان قيم ، والقيم هي التي تشكل أولويات الإنسان ذات أهمية لديه ، ومن قيمه التي يحددها ويخطط لها بإمكانه وفقا لذلك تشكيل أهدافه ،

وللوصول للأهداف بإمكانه وضع خطة محكمة للوصول لهدفه ، ولكي يقرر بنعم أولا ، أو يقرر،أيتحمل المسؤولية أم لا ، لابد له أن يرتب قيمه من الأول إلى الأخير ، وعندما يعرف قيمه وقوانينها عندها يبدأ بإتخاذ القرار ، والمسؤولية الناتجة من إتخاذ القرار ما هي إلا ضريبة العمل المجهد الذي يقوم به للوصول لهدفه.

*نصيحة

كن على قدر طموحك ، وضع الإنجاز نصب عينيك ، وحدد أهدافك ، وضع خطة محكمة لما تريد الوصول له ، بعدها إتخذ قرارك ، ومن القرار تحمل مسؤولية أفعالك ، قد تكون البيئة غير مشجعة على إتخاذ قرارك ، لكنك أنت الوحيد سيد أفعالك ، ركز خارج منطقة راحتك ، وحاول الخروج منها ، فالأمن والأمان قد يقفان عثرة أمام التغير ، والمغامرة أحيانا سيدة كل

الإبداع ، وصدقت هلين كلير حين قالت :"الحياة

مغامرة أم لا شئ.

ما قبل الوادع

كنتُ أسمع تعابيرَ خاصةٍ تُقالُ قبل السفر، ويُخَصُ

بها أولئك المسافرين أنفسهم، ك "استودعتكَ الله"

و "في أمانِ الله يا مُسافر" ودائمًا ما أقرأُ أبياتَ

الخليفةِ علي بنُ أبي طالب كرّم الله وجهه:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ طَلَبِ العُلَى ** وسافِرْ

ففي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرُّجُ هَمٍّ، واكتِسَابُ مَعِيْشَةٍ ** وَعِلْمٌ ، وآدابٌ،

وصُحْبَةُ مَاجِدِ

فإن قيلَ في الأَسفـارِ ذُلٌّ ومِحْنَـةٌ ** وَقَطْعُ الفيافي

وارتكـاب الشَّدائِـدِ

فَمَوْتُ الفتـى خيْـرٌ له مِنْ قِيامِـهِ ** بِدَارِ هَـوَانٍ

بيـن واشٍ وَحَاسِـدِ

ولكن الذي يبعثُ الدهشةَ والحيرة هو الإستهانة التامة بمشاعرِ الأبوين لحظةَ توديعهم فلذة كبدِهم، بل نسيانها كُليًا.. الأمر الذي جعلني أنزفُ لكم تجربةً شخصيةً بحبرِ الوجعِ، لحظةَ الوداع. لا أُخفيكم بأنني شخصٌ متعلقٌ بأمهِ كثيرًا، بل وكثيرًا. بل لم يسبق أن فارقتها لأيام، حتى حين

مغادرتي للمدرسة، كنتُ أبكي، وأجزمُ لكم أنها كانت تشعُرُ ببكائي.. يُقال: لا تخجل من البكاء، كل الرجال يبكون. ويقال بأنّ أول رجلٍ بكى: ملكٌ عربيٌ أضاع عرشه في أوروبا، فلما رأته أمه قالت له: «ابكِ كالنساء على مُلْكٍ لم تحافظ عليه كالرجال» وفي الجهةِ المقابلة فإنّ بكاء النساء غريزة. تبكي المرأة من الملِ أحيانًا، ولكن بُكاء أمي في اللحظة التي احتضنتني فيها في المطار قُبيل مغادرتي كانَ أشبهُ بولادةِ طفلٍ جميلٍ جدًا، ترتسمَ على وجنتيهِ ابتسامةً كقطعةِ حلوى،

!ماتَ وهو يُهدي من أنجبتهُ ابتسامةَ الرحيل

وفي الجانبِ الآخرِ من الوجع، أبي الذي أبى أن

يُريني دموعهُ التي كانتْ كسجنٍ مؤبدٍ في عينيه،

ليلّمح لي بأنّ الموقف المناسب لم يأتِ بعد ليريني

:انكساره، بيد أنه أخبرني سرًا ودّعني به قائلًا

أنتَ سفيرُ نفسك، لا تهدم ما بَنَتهُ أمكَ في قلبك، "

تذكّرها في كل خطوةٍ تخطيها وقُبيل أي عملٍ

.. "نويتَ به سواءً كان شرًا أم خيرا

*وقفة فكرية

أصعاب ما في الحياة الفراق ، وأقسى ما في الوجود الوداع ، وخاصة حينما يتعلق بفراق من نحب ، ووداع من نستأنس بهم ، قد يكون الوداع بدموع أو بدون دموع ، لكن المؤلم حقا عندما نرى في عيني من نحب إنكسار وخضوع ، خضوع لجبروت الزمن ، وقساوة الأقدار ، التي تدفع الشخص أن يغادر متخليا عن أغلى ما يملك ، ليحلق في سماء حلمه ، تابعا فراشات أمانيه ،

لاحقا بسراب أهدافه ، تلك اللحظة بالذات لحظة الوداع ، هي اللحظة التي يمر بها شريط أيامنا مع من نحب ، ونودع ، تمر أيامنا معهم كشريط طويل ملون ، بحلوها ومرها ، تجعلنا نتحسس من تلك المشاعر ، تجعلنا نهيم في دقائق الوداع تلك ، تتحول الثواني لساعات ، والساعات لدهور طويلة نتمنى أن تمر سريعا حتى لا يبقى لها في قلبنا أي أثر ، دائما عندما أفكر وأتفكر بالوداع أتسائل لماذا دائما الوداع محزن؟ لماذا نظن بالوادع شرا دائما ؟ لماذا نجعل في تصورنا أننا لن نلتقي مرة

أخرى ؟ هل هو خوف من المجهول ؟ أم هو

خوف من مصيرنا وأهدافنا التي أتخذناها؟ هل

عندما نحزن حين الوداع فنحن نخاف من أن لا

نتواصل مرة أخرى ؟ أم أنه خوف من شئ آخر ،

كخوف الطفل الرضيع لحظة الفصام، لأنه لم يعد

رضيعا بعد الآن ، هل خوفا من فراق اللبن ، أم

خوفا من دخول مرحلة جديدة؟ لماذا لا نبتسم

للوداع ؟ أم أن الوداع إذانا ببدأ حياة مستقبلية

مجهولة ؟ هو خوفا من المجهول إذا؟حقا أن هذا

المجهول مخيف ، لكن طالما أن في قلبي شعاع

من إيمان ، إيمان لذيذ بقادم الأيام ، وتفاؤلا مني أن القادم أجمل جعل عيني تدمع ولكن قلبي يطير فرحا ، حبا وتوقا لأحلامي التي ألاحقها مثل الفراشات عندما كنت صغيرا.أوصاني والدي ووصيته لا زالت محفورة داخل ذهني ، حقا ما يقول ، لقد تجلت حكمة والدي في أحلك المواقف ، فهو الذي نصحني بأني سيد ذاتي والمسؤول عنها ، وأن ضميري هو الشئ الوحيد الذي غرسه فيني والدي وكان واثقا بأنه سيكون ميزان الخير في قلبي دائما ، تجلت في لحظة الوداع تلك ثقة

كبيرة من والدي يقابلها حزن ورقة شعور من والدتي ، جعلني أتذكر دائما أن المواقف تظهر حقيقة الإنسان ، فما بين عقل وشعور كان الفرق بين والدي ووالدتي.

*سؤال وجواب

تأملنا سابقا في الفقرات التي ذكرت أن الوداع صعب ، وخاصة عندما يكون مقرون بمن نحب ، لكنه جميل حين يكون إذانا ببدأ مستقبل مشرق وجديد ، السؤال الذي طالما حيرني هل بكائي في

ذلك الموقف بكاء ضعف؟ هل عيبا أن يبكي الرجل ؟ ما دلالة الدموع عند الرجل ؟، قبل أن نجيب على هذا السؤال لنتيقن أن الدموع ما هي إلا حالة من حالات رد فعل الجسم في لحظة حزن ووجع ، لذا هي مقترنة بالمشاعر أكثر ، وقد تكون دموع حزن أو دموع فرح ، فعندما تبلغ المشاعر ذروتها ، يعبر الجسد كردة فعل لذلك بتلك المياه المالحة التي تخرج من أعيننا ، ولقد جعلها الله علامة ليس على الضعف بل على حدة المشاعر ، وهي تخرج حين يكون لا سبيل لتنفيس

عن مشاعرنا إلا بها ، قد تدل على ضعف المرأة فهي تبكي عندما تبلغ مشاعرها أوجها ولا تستطيع فعل شيئا حيالها ، أم الرجل فهو يبكي عندما تحتد مشاعره ، ولا يخفف منها إلا بالبكاء ، لذلك فهو وإن كان ضعفا بالنسبة للمرأة ، فهو ردة فعل طبيعية لشدة الإحساس بالنسبة للرجل ، والأحاسيس كما تجتاح الرجل فهي تجتاح المرأة ، والرسول الكريم كان أرق الناس قلبا وأكثرهم دمعا ، فهو القائل :"إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإن لفراقكم يا إبراهيم لمحزونون".

*نصيحة

لا تجعل الوداع نهاية الرحلة ، بل اجعله بداية الرحلة ، وأمل المستقبل ، وهدف الغد ، لا تكسر قلب أحبابك بأفعالك ، كن سفير ذاتك ، وقائد أفعالك ، حكم ضميرك فيما تقول وتفعل ، فلا سلوان لسوء الخلق والفعل طالما أن هناك أناس يربطنا مصير بمصيرهم ، ويفرحون لعلونا ويحزنون لانحطاطنا ، لا تحزن أنك مفارق ، بل احزن عندما لا تجد هدية تعود بها إلى من تحب ، فلا تفجعهم خلقا وفعلا.

صعيدي على جناح سفر

لم يسبق لهذا الفتى أن ركب متنَ طائرةٍ يومًا، وفي ذلك اليوم خِصيصًا، وبعد وصولي لمكان الدراسة ساوث كارولاينا في مدينَةِ كولمبيا تحديدًا، والتي استغرقت بضعَ ليالٍ لأحداثٍ مررتُ بها والتي ستعرفونها بعد لحظات! كمٌ هائلٌ من الأصدقاء -ولا أعلم إن كان هذا الأمر صدفةً أم لا- رسلوا لي تعابيرَ جمّة، بحلوها ومرها، ومن تجليّات القدر أن أقرأ رسالةً من مجهول فيها جملةً واحدةً (أنا وحيد)، حينما قرأتها

ضحكتُ على نفسي كثيرًا. مسألة الوحدة هذه شخصيًا عانيتُ منها كثيراً، ليس لقلة من يحيط بي أو من يحبني، بل لأن الوحدة هذه، زائرةٌ ثقيلةٌ تحب إلقاء التحية دوماً، وخلال تلكَ الساعات من السفر، مررتُ بموقفٍ لا أعلمُ إن كان مُفرحًا أم مُحزنًا، ولكن؛ الشيء الوحيد الذي كنتُ متيقنًا منه أنّ هذه السفرة كانت ثقيلةً عليّ، حينها سافرت هرباً من واقعٍ معين فاضطررتُ لزيارة عدةِ مستشفيات هناك بسبب أنّ الهرب لم يكن هو الحل، آخر مستشفى خرجتُ منه خِلسةً كهاربٍ

من سجن لأنني علمتُ بأنّ علاجي ليس هنا،

عندما خرجت ظللت أسير فقط في الشوارع بلا

هدفٍ كالمُشرّد، وكانت الطبيعة جميلة جداً،

وعندما تَعِبَت قدماي جلستُ في أحد المنتزهات

لكي أستريح، وبعد عدة دقائق جَلَسَت بجانبي

امرأةٌ على وشكَ الموت، وقد بلَغَت من الكبرِ

عتيّا، وكانت تحملُ حقيبةً أكبر منها، أو بالأحرى

لو كيلت لوجدتها أثقل منها، ثم أَخْرَجَت كتاباً

صغيرًا جدًا لتقرأ فيه ، كنت سعيداً لرؤيةِ عجوزًا

تقرأ، وتخيلتُ نفسي بعمرها وأنا أقرأ ، وأُعجبتُ

بفكرة أن أكون متقدماً بالعمر في يومٍ ما ، بعد دقائق قليلة، أخذت السماء تمطر ، فقامت هذه المرأة بسحب الجرائدَ التي كانت على المقعد قبل أن تجلس ووَضَعَتْها على رأسي ورأسها، ولكنني مانعت، لخوفي الشديد، أو بالأحرى لأنني لم أعتد على ذلك، وأَخَذَت تتكلمُ بلغتها التي لم أكن أفهمها بعصبية، فأردتُ أن أُخبرها بأنني شخصٌ يُحب المطر كثيرًا، فأخَذْتُ قلماً ورسمتُ على الجريدة قطراتٍ من المطر ووسطها قلبٌ كبير، فأَخَذَت القلم مني وقامت برسم مقياس الحرارة بجانبها ،

جعلتني أبتسمُ فعلاً ، هذه السيدة تخاف عليَّ أن أمرض، فاسترجعتُ القلمَ مرةً أُخرى وقمتُ برسمِ قلبٍ أكبر، ووَضَعتُ سهماً منه باتجاهها؛ ابتسمت هي وقامت بعكس السهم عليّ، ثم انصرفت..

هذا الموقف جعلني أُدركُ تماماً أننا لسنا وحدنا ولن نكون ، هناك دائماً شخصٌ يقول <وإن لم نعرفه>:

(صدقني أنتَ لست وحدك مُطلقًا) ..

*وقفة فكرية

على الرغم من قساوة الغربة ، على الرغم مما كان ينتظرني من ألم وعذاب ، إلا انني أدركت رغم كل ذلك أنني لست وحيدا ، نعم لست وحيدا ، فكما قال علماء الإجتماع الإنسان إحتماعي بطبعه ، وجدت كل الناس هناك وإن أختلفت أخلاقهم ومشاربهم ونحلهم ومعتقداتهم وجدتهم منفتحين على الجانب الآخر ، وكأن كل واحد منهم نهم لمعرفة حدود هذا العالم وإين سينتهي ، لم أكتفي بالتحديق والإنعزال والإنطواء على

نفسي ، بدل بادلتهم كلهم كمية الحب والشعور العظيم الرائع الذي كان مخزنا في عقلي الباطني ولم يكتب له الخروج ، كنت مستعد لتعلم مئة قانون بشري عن الإجتماع فقط لأتغلب على وحدتي تلك ، فلو ظللت وحيدا لأفترستني الذئاب ، الوحدة سهم مسموم ، يجعلك حبيس أفكارك وإن لم تخرج ، تجعلك مخزن ممتلئ لإنفعالات لم تنفس عنها ، الحب والود هو كل ما كنت أريده في رحلتي تلك ووجدته من مجرد حديثي الرمزي مع تلك العجوز ، علمتني العجوز أشياء كثيرة

منها أن طلب العلم لا يتربط بسن، فهاهي تلك العجوز وقد بلغت من الكبر عتيا ولا زالت تصاحب كتابها أينما ذهبت ، جعلني هذا أشبه بقنبلة مؤقوتة تنتظر فقط أن تفجر كل إبداعاتها في مجال العالم ، وهذا ربما كان علامة دالة على أن مستقبلي الباهر لم يأتي بعد ، وأني على بعد خطوات معدودة من أحلامي ، الحلم الذي لن أصل إليه إلا بالقراءة ، وهذا أول درس علمتني إياه العجوز ، كما أنها علمتني مبدأ التضامن ، وهو التكاتف من أجل الآخر ، كانت تحس وتشعر

بي ، كانت تعاملني كأني ولدها ، لا تدرون حجم الحب والحنان الذي مدتني به وأنا في غربتي وإن كان موقفا بسيطا ، فهذا كان يعني لي الكثير ، لا أخفيكم أن موقفا كهذا جعلني أعيد حساباتي كثيرا ، اعطاني دفعة قوية لأفكر كيف ستكون حياتي في قادم الأيام ، هل سأتقبل أني بعيد عن وطني وأحبتي ، أم سأخلق لنفسي بيئة أخرى من الحب والحنان مع من حولي ، وكأننا في جامعة أخلاق ، كل يدلي بدلوه ، لكن ما كنت متيقنا منه أنني لن

أكون وحيدا ولدي قلب جميل يسع كل هذا الجمال

الذي وجدته في ذلك العالم.

*سؤال وجواب

تكلمنا كثيرا عن الوحدة ، وقلنا أن علماء

الإجتماع يقولون أن الإنسان إجتماعي بطبعه ، إذا

لماذا مدح معظم العظماء العزلة ، بل أبدعوا جل

إنجازاتهم وهم منسلون من ذواتهم مبتعدون عن

من حولهم ، خارجون من نطاق تأثير بيئتهم؟ بل

أن كثيرا منهم كان مصابا بمرض التوحد مثل

إنشتاين وأديسون ، ولم يؤثر هذا سلبا على إنجازاتهم بل جعلهم يقودون العالم بما أهدوه إليها من إنجازات ، بإمكاننا القول للإجابة على هذا السؤال ، أن العزلة سلاح ذو حدين ، إذا زادت عن حدها إنقلب الوضع إلى ضده ، لكنها مفيدة أحيانا كثيرة وخاصة قبل النوم ، لأنه لحظة يمر فيها شريط المرء وحياته كلها أمام عينيه ، مما يجعله في مزاج تأملي ، يضطره أن يركز ويحلل ويستنتج ، وهذا لن يكون إلا في ضوء من الهدوء ، كما يقال علميا كما أثبتت الدراسات أن الإنسان

كلما زاد وعيه وكلما زادت قراءته للكتب ، أحب الهدوء والوحدة ، لأن الإزعاج والإجتماع يشتتون من أفكاره ، ولأن أغلب من يقرأ هم من المثقفين والعلماء والنبغاء فهذا يجعلهم يحبون العزلة أكثر من غيرهم ، لأن العزلة هي مخاض للأفكار ، وخاصة للأفكار العظيمة التي تحتاج إلى تأمل وتفكر لحظة خروجها.

*نصيحة

أحبب من حولك ، تعلم أن تعطي من بجانبك إن لم تجد مالا ، أعطهم حبا وحنانا ، تعلم متى تخلو بنفسك وتنعزل ، ومتى تجتمع وتتعاون ، تعلم من كل شئ حولك ، فالقارئ يعلمنا القراءة ، والمحب يعلمنا الحب ، والودود يعلمنا الود ، الكون كتاب مفتوح إن لم تحسن التعلم منه فأنت تلميذ فاشل ، أحسن كما يحسن الناس إليك ، ودع المستقبل لرب العباد هو الذي يتكفل به وحده.كن عطوفا

في تعاملك ممن حولك ، وساعد وأبذل واعط

يكون النجاح حليفك.

أول صباح

كانت ليلةً هادئةً في أولِ فُندقٍ لي بصحبةِ صديقي العزيز مُحمد، كلانا كان موجوعًا بعض الشيء، كون أول ليلةٍ لنا خارج أمنِ البلاد. لا أخفيكم بأننا لم ننم تلك الليلة بأكملها، وكنا نترقبُ بزوغَ الفجر لنصلي وبعدها نتجولُ في أزقةِ البلادِ البعيدة.

صديقي كان متحمسًا جدًا لالتقاطِ صورةً للشروق، لم أكن متحمسًا البتّة، وفي الوقتِ ذاتهِ كان لا بُد لي من الخروج للأسباب التي لا تريدون معرفتها.

منظر شروقِ الشمسِ كان أشبهُ بمرورِ رجلٍ

بعكازٍ زَلِق بعدما بُترت قدماهُ في الحرب، بينما بائعُ الأحذيّة يرمُقهُ من بعيد وهو يُنظّف أحذيةِ المارّة. نعم يحدُثُ أن تنكسر كسرًا لا يُجبر وصبحُكَ لا يبدأ بُقبلةٍ على يدينِ أُمك، ويحدثُ أن تكونَ بعيدًا عن أهلكَ لأول مرة، فتنصدمُ بذلك الشعورِ العميق الذي يفضحُ مدى عجزك الذي تحاولُ جاهدًا أن تواريهِ عن الجميعِ بابتسامتكَ الصفراء الشاحبة!

التقطَ صديقي كمًا هائلًا من الصور لشروقِ الشمس، وأخذ سلفي لي معه، بابتسامتي المزوّرة،

وأرسلها لأهله. زقزقة العصافير، وبرودة الجو كانتا كفيلتين بجعلي أترنّم وأنبسط، زحمة المارة، رائحة السكارى على بركةِ الله، مدخني السجائر حدّث ولا حرج، والأهم من ذلك، رأينا مُحبَينِ يُمسكانِ بكفي بعضِهما ويلتقطانِ صورةً لهما وخلفهما صعيديينِ يرمقانهما بنظرةِ المُتعجبِ، واللذان يبدوانِ كأنفِ عبد الناصرِ درويش بامتدادها، أو ضرسيهِ اللتان كانتا على وشكِ الوقوع من حسرةِ الموقف! صديقي الذي أرادَ إسكات ما رآه بحيلةٍ جميلةٍ جدًا كما كنا نفعل

عندما نرى أحد المسلساتِ وتظهر لنا لقطةً تُخبرنا

بأن نتجاهلها بتغيير النمرة أو الوقوف وتغيير

الهيئة، على أيةِ حال قررنا الرجوعَ للفندق ولكن؛

قبيل ذلك أخذنا بعض شرائح الجبن لبطاطس

عمان الذي أحضرناهُ بعدما علمنا بأنّ سنادويتش

!صب واي تعدّت قيمة الثلاث ريالات

:حينما قال Luat Gajang صدق

حين ترحل عن بلادك مضطراً لضيق الحال، "

تعمل جاهداً في بلاد غريبة لا تتقن لغة أهلها و لا

يسهل عليك التواصل معهم، لكنك مضطراً لكسب

قوت يومك لذاتك و لزوجتك و أطفالك، دون أن تشغل نفسك بنظرة المجتمع، تنام ليلآ بالألم لأن أحدهم سخر من لهجتك أو علق على لون بشرتك الذي لوحته الشمس، ثم تحاول أن تنسى ذلك الألم و البؤس الذي يمر بك لأن هناك شيء في أعماقك يدفعك لتغفر و تسامح العالم و المحيط الذي تعيش فيه ،،، شيئا ما يجعلك تتجاهل كل المخاوف و يقودك إلى النور الذي يشرق في قلبك ويعطيك المفاتيح لتفعل المستحيل ....!

باختصار، حالنا كانَ أشبهُ به، بل أشدُ قسوة

*وقفة فكرية

البؤس والألم هو كل ما كان يرافق بداية رحلتي ، على الرغم من جمال منظر الشروق الذي هو إذانا ببدأ يوم جديد ، ومستقبل حافل، إلا أن الألم النفسي المصاحب للسفر والذي يجبرني أن أتألم ، يجبرني أن أأن بأعلى صوتي ، مفارقة الأهل والأحباب ، وكوب قهوة أمي ، مفارقة وطني والإبتعاد عنه ، كله كان محرك للألم النفسي الذي كنت أعاني منه ، هل يا ترى طموحي سيساعدني أن أنسى ، هل يا ترى سأتغلب على هذا الألم ،

كانت خطوة رائعة لي أن أحاول البحث عن ما يجعلني سعيدا ، كرؤية الناس من حولي كل يتحمل البؤس والشقاء من أجل أن يوفر لقمة العيش لأطفاله وأهله وأسرته ، كان البؤس الذي يطغى على الغرباء هو الذي كان يحرك لدي الرغبة في التغلب عليه ، يقول خبراء التنمية البشرية أن لكل عمل دافع فإذا فترت فأبحث عن الدافع الذي يدفعك لبذل المزيد وإن لم تجد دافعا يحثك على العمل والإجتهاد قم وأعمل المهم أن لا تتوقف وتبقى كالجثة الهامدة ، وهذا ما فعلته ،

كانت صورة أمي ، أحلام أختي ، أهداف أبي فيني تتمثل لي في كل حركاتي وسكناتي ، لم أشاء أن أخيب آمالهم ، ما الجدوى من البؤس ، وأنا الذي أعرف كيف أصنع من الليمون شرابا حلوا ، البؤس كان أول مدرسة لي في مدرسة الغربة وهو الذي ولد لدي الدافع والألم أن أتعلم من تجربتي تلك وأصنع منها عصيرا حلوا لذيذ المذاق.يقول خبراء التنمية البشرية أن الإنسان الناجح هو الإنسان الذي يقوى أن يصنع من آلامه وفشله في التعامل معها أن يصنع منها خطوات

وطريقا إلى النجاح ، لأن النجاحات لا تقاس بعدد سقطاتك بدل بعدد وقفاتك بعد سقوطك ذاك ، والناجحون هم دائما من يرتكبون مزيدا من الإخفافات لكن لا يتوقفون عند ذلك ، بل يقفون بعد كل سقطه ، ربما كان بؤسي هو أعظم سقطاتي ، لكنه كان ألما يولد عبقرية ، ودافعا لتقديم المزيد ، الكل مختلف هناك ، وهذا الإختلاف فيما بيننا يولد لدينا الخوف من الخوض في غمار المجهول وذلك بالتعامل معهم ، قد ينتقد أحدهم لون بشرتي أو عاداتي أو أسلوبي ، مع

إختلاف البيئة ، لكن ما أنا متأكد منه ،بأنه مع تعامله سيجد الحب والذي يملأ قلبي ويكسر كل حاجز الخوف الذي يولده الإختلاف فيما بيننا ، يجعلنا الخوف نقيم جسورا فيما بيننا ، وهذا هو بسبب الإختلاف ، في حين أن الفكر الذي يولده الحب والعطف إتجاه بعضنا بعض هو المطرقة الوحيدة التي تكسر حاجز الإختلاف ذلك ، فإن فرقتنا اللهجات واللون والعادات فإن قوة الفكر المتمثل بالحب والتضامن هو قوة كافلة بتجميعنا ، لذلك كنت أشدهم إحساسا وأنا أرى غريبا يكد أو

مغتربا يعمل ويشقى من أجل من يحب ، يولد لدي نوع من التعزية أن القادم دائما أجمل.

*سؤال وجواب

تحدثنا في الفقرات السابقة أن البؤس يولد ألما ، لكن الألم الذي يولده كان دافعا للتقدم والمزيد من الإنجاز ، السؤال الذي يحيرني دائما طالما أنني دخلت المستشفى فور وصولي ، وجربت أول يوم لي بالغربة دون وجود رائحة أمي ، السؤال الذي يحيرني هو هل الألم النفسي أقوى أم الألم

الجسدي؟ هل ألم الجسد أقوى أم ألم البعد عن الأحباب والفراق والغربة والوحدة؟ ، الآلام كلها مستحدثة ، أي أنها ليست خالدة فهي تأتي وتذهب ، الألم الجسدي قد نجد ما يسكن ألمه من أدوية ومسكنات ، أم الألم النفسي إن لم نجد ما يسكنه فإنه يتفاقم ، ونادرا بل محظوظون هم الندرة الذين يجدون ما يسكنون به آلامهم النفسية ، لأن الآلام النفسية مصدرها العقل ، ولو سألنا ما الذي يولد الألم النفسي في العقل كعضو ؟ لوجدنا أن الفكرة التي يشكلها الإنسان في ذهنه هي كافية

بإقاد برميل النفط المتوقد داخله ، وإشعاله بشرارة

بسيطة قد تكون هي الغربة.

الألم الجسدي يذهب مع ذهاب السبب ، أما الألم

النفسي فهو يبقى ويخلد ولو بعد ذهاب السبب ،

لأن الفكرة تولد فعل والفعل يولد عادة والعادة

التي تحدد مصيرك يصعب التخلص منها بسهولة.

*نصيحة

الألم الجسدي يذهب بزوال المسبب ، أما الألم النفسي فهو يولد بؤسا وشقاء ومع الألم فإن الذكي وحده هو من يصنع منه قوة دافعة وتحدي ، لا تجعل آلامك تحطمك ، أصنع منها شرابا حلوا تستلذ به طيلة فترة غربتك ، أجعل من البؤس صاحبا ، ومن الحزن رفيقا ، ومن الوحدة صديقا ، لا تشاد البؤس ، فما شاده أحد إلا غلبه ، بل إن أرخى بعطاياه الحسنة كافئه ، وإن شد أرخي ، أصبر وأحتسب فإن بعد العسر يسرا ، فما غلب

عسر يسرين ، والمصاعب هن أس النجاحات والإخفاقات ، فإخفاقاتك هي كالدرجات في سلم إمكانياتك وقدراتك ، نميها حتى تقوى الصمود في وجه البؤس.الألم مدرسة ، والطالب الذكي فقط هو من يولد من الألم عبقرية ، فالألم يولد العبقرية كما قال شكسبير ، لأننا حين نتألم فأننا نشعر ونحس ، وكلما زاد ألمك ، زاد إحساسك ، يجعلك هذا تستلذ قيمة راحتك حين تحصل عليها ، الألم أكبر جامعة ، وأقوى مدرسة ، فقط أحسن التعلم منها .

موقف علمني

اليومُ الثاني ، ذهبتُ بمعية أصدقائي للبحث عن سكنٍ قريبٍ من الأحياء الجامعية .. فتوقّفَ بنا القِطارُ لأولِ مكتبٍ لتأجير الشقق، كان في استقبالنا امرأةٌ حسناء شقراء الشعر، وأذكرُ جيدًا بأنها كانت تضعُ كُحلاً بعينيها كآسيويةٍ بعرق الشرقِ الأوسط، ولا أُخفي عليكم بأنها كانت جميلةً كغزالةٍ بفمِ أَسَد!

ما إن وَطَأَت أقدامُنا مكتَبها، قامت مسرعةً باستقبالنا بكل حفاوة.. مدَّت يدها بغرض الترحيب

مبتدأةً بالضحية الأولى صديقي -صديقي الجميل رائد كانَ ملتحيًا ولا زالَ على حدِ علمي، ملتزمًا بكل ما تحمِلُهُ الكلمة من معنى- الذي لم يملكِ الخيار إلا أن أبعد يده عنها وألقمها تلك النظرة الشزرية قائلاً:

<بكلِ قسوة> لا أُصافحُ النساء!!

: فاحمرَّ وجهُها خجلاً مُعقِبةً

أنا لستُ نَجِسةً ووسخة؛ ولم أعتد أن أُعامَلَ بهذهِ القسوةَ من قبل .. كانت تقولها بِحُرقةٍ وعيونها دامعة.

ما إنِ انتهينا حتى أعتذرت عن ما حدث وعُدنا بخفيّ حنين

لم يكن أحدٌ منا يتوقع حدوثَ ما حدث، ولكنّ المصائبِ لا تأتي فُرادى، عند العودة، الكل كانَ حزينًا بسبب أننا لم نحظى بالسكن القريبِ من الأحياء الجامعية، وكلٌ منا أبدى حزنه بطريقتهِ الخاصة، ولكننا لم ننسى ما حدث، الأمر الذي يجعلكَ مُعلّقًا ما بينَ نارين، الأولى: الحالة النفسية التي تتركها بقلبِ من وقعَ عليهِ فعلُ الفاعل، وثانيًا حِفاظُك على مبدأِ الدين. وبما أننا نتكلمُ لُغةً واحدةً

ومليونُ فهمٍ خاطئ، النقاش الذي خلفّه هذا

الموقف أبدى استياءً على وجوهِ البعض بعد

اجتماعنا ونقاشنا المثيرِ حوله، بيد أنّ الجميعَ أخذَ

درسًا جميلًا ذلك اليوم ونامَ على توقُّعٍ جديدٍ لما قد

!يحمِلُهُ الغد

*وقفة فكرية

الغربة بما تحمله من آلام وبؤس وشقاء ، لم تكن صامتة ، بل وجهت ضرباتها موجعة واحدة تلو الأخرى ، لم تكتفي بمشاهدتنا نتعذب ونحن بعيدين عن أوطاننا وأمهاتنا بل أكثر من ذلك أدخلتنا في صراع رهيب ، صراع من النوع الذي يعصف بالذهن ، ويحير الفكر ، صراع مؤلم ، يجعلك تعاف النوم لأيام ، وتراجع نفسك لساعات ، هل كنت محقا؟ ، هل حقا هذا هو مصيري في هذا الكون النائي من العالم؟ هل حقا هناك ما هو

أكثر ألما من تجربتي تلك؟ هل سأصمد في تحدي إختبار الدين ذاك ، لا سيما أنني في دولة أغلب شعبها منفتح على الجنس الآخر ، هل سأتمسك بمبادئي؟ ، هل سأقوى الصمود أمام مغريات الواقع؟ ، هل هذا كله إذانا بدخولي لمعركة من نوع آخر ، سيوفها آراء الناس ، وخيولها معتقداتي ؟ ، حينها قبل أن أنام كنت أسأل نفسي كثيرا هل وفق صديقي المتدين في ما فعل ؟ هل كان ينبغي أن أوضح لها أن عدم المصافحة لا يعني أنها نجسة وأنها غير نظيفة ، هل لابد أن

أتدخل لألطف الجو؟ ، هل إتخاذها للقرار عدم

منحنا سكننا قرب حرم الجامعة كان متأثرا

بالموقف الذي حصل ؟ ، لماذا أنا الذي أفكر فقط

في ضريبة إختلاف مبادئنا وديننا وشريعتنا مع

موقف الغرب إتجاهنا؟ لماذا لم تبادر هي بمعرفة

سر فعلي هذا؟ لماذا لا يتعلم الغرب أننا نحن

مسلمون لنا واجبات وحقوق أيضا؟ هل ينبغي

على كل أمريكي أن يعرف عن مبادئنا وعاداتنا ؟

كما نجتهد نحن لمعرفة كل شئ عنهم؟ بعد كل

ذاك العصف الذهني الذي منعني من النوم كنت

أتذكر حيث الرسول ﷺ :"ويل للعرب من شر قد اقترب ،فتنا كقطع الليل المظلم ،يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ،يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك يؤمئذ بدينه كالقابض على الجمر".نعم كنا في الغربة نقبض على ديننا ومبادئنا كالقبض على الجمر ، كنا في خيارين اثنين لا ثالث لهما : إما أن نسبح مع التيار ونتنازل عن ديننا ونكون الحلقة الأضعف هناك ، أو نسبح ضد التيار ونقاوم وننتصر ولكن بعد معاناة شديدة وجهد بليغ قد يكلفنا أكثر مما

ينبغي.لا أخفيكم سرا بأني لم أكن خائف من السباحة ضد التيار والتمسك بمبادئ ، لكن ما كنت خائفا منه هو أن أظل وحيدا غريبا في غربتي . فالرسول وصف المسلمين في نهاية الزمن بالغرباء وقال بأن طوبى لهم.وكان هذا هو التحدي الأكبر ، هو كيف أكيف وحدتي مع غربتي ، فأخاف أن تجتمع على غربيتين ، غربة الوطن وغربة الدين.

*سؤال وجواب

قرأنا سابقا عن الموقف الذي رمانا فيه الدهر في الغربة ، لكن السؤال الذي طالما حيرني هو إذا كان مبدأ من مبادئ يؤدي إلى الأضرار بنفسية إنسان غريب عنا دينا وأخلاقا ، هل سأقف في صف الإنسانية المؤقت؟ أم سأقف في صف ديني ومبادئ؟،لتعلم عزيزي القارئ أن الإسلام كل مبادئه جاءت من أجل الإنسانية ، لكن ما نراه في لحظة ما على أنه ضد الإنسانية قد يكون في الأمد البعيد معها ومتفقا لوفاقها ، أي أن تمسكي بديني ضد ما يبدو في حلته أنه إنساني لبرهة ، هو مع

الإنسانية في الأمد البعيد ، فلو صافحتها وخالفت مبادئ لربما جرني هذا إلى ما لا أعلم عاقبته ، ولكن وضع حدود بيني وبينها في ذاك الوقت هو خير لي في المستقبل ، والدين الإسلامي دين مستقبلي ، يحترم الماضي ، ويقدر الحاضر ، ويخطط للمستقبل ، فهو ذو نظرة مستقبلية تجعلنا نقف إحتراما لها.

*نصيحة

وإن وعدك الدهر أن تكون غريبا عن من حولك ، غربة المغترب عن الأوطان ، إلا أن غربة الروح والضمير هي أقسى أنواع الغرب ، تمسك بمبادئك وإن كانت ضد ميول شخص ورغباته ، لا تساؤم على دينك ، وأخرج دائما وإن لم تكن منتصرا ، بل بأقل خسائر ممكنة ، فالخاسر الأقل أحيانا كثيرة يكون منتصرا ، تمسك بدينك ولو أضطررت أن تسبح ضد التيار.

صدمة ثقافية

يبدو الحديث عن اختلاف الثقافات نوعًا ما مبيدًا اجتماعيًا بحت، حيثُ يُجبركَ على دراسة كل اختلافٍ من منبتِ شعر الرأس وحتى خنصرَ القدم.

كون ثقافتنا إسلامية بحتة، رصينةٌ بمبادئها، حليمةٌ بعاداتها، إلا أنني وجدتُ الكثيرَ من الإختلافات بيننا كعمانيين أنفسهم هُناك، ولا أُخفيكم بأنّ أول الأيام كانت كفيلة بأن تكشفَ لنا طبائعَ البعض،

فمنهم من جمع بينَ الطيبِ والوفاء والصدقِ والصفاء، ليبينَ لنا طيب المعدن، ومنهم من ظهر بقلبهِ الداء وفسخَ الحياء ليبيّن لنا منذُ الوهلةِ الأولى بأنّهُ ابتُعث لغايةٍ أخرى كُليًّا عما ابتُعثُ من أجله. الحياةُ هُناكَ حريّةٌ كاملةٌ بجميعِ تفاصيلها، بحيثُ أنّك قد يتوهمُ لكَ الشرُ خيرًا والخيرُ شرّا!

لن أبالغَ كثيرًا إن أخبرتُكم بأنني كنتَ قلقًا جدًا على الوضعِ السائد، ومن كثرِ التفكير بهذا الأمر كنتُ أبكي بخُفيةٍ تامّة، وكنتُ أدعو الله كثيرًا بأن يجمعني بأصدقاء يفهمونَ مشاعري واتجاهاتي

ومبادئي!

بينَ أروقةِ حرم الجامعة، تجدُ مختلفَ الأجناسِ من الناس، بلونهم وعرقهم، حيثُ تجدُ المحبةَ والوئام، وبنفسِ الوقت تجدُ المدخنينَ والسُكارى يترنّحون بقدحهم على رصيفِ المارّة! البعض منا -إن لم يكن جُلّنا- كان يركزُ بحرفيةٍ تامّةٍ على تصرُفاتِ الشعب الآخر، وتجدهُ منصدمًا من كُلّ موقف، فتجدُ حبيبًا يُقبلُ عشيقتَه أمامَ المارّةِ بلبسهم الفاضح وبأريحيةٍ تامةٍ، والآخر يلعَنُ صاحبِ المقهى لدناءةِ طعامه، والآخرُ يطلقُ الرُصاصَ

على ما يشتهي قلبهُ وعقله، ولكن الأمر الذي أثار دهشتي فعلًا أنّ الجميعَ منشغلٌ بنفسه، يُمارسُ حريّته المطلقة على حسابهِ الشخصي، ولا يتدخّل بأمر غيرهِ إلا إذا دفعته الحاجة!

يُذكر بأنّني مشيتُ بالأقدامِ ما يقاربُ العشر كيلوات لأبحثِ عن محل هواتف نقالة، كمّشردٍ رثّ، لا يعرِفُ يمناهُ من يُسراه، ولأنني كنتُ أبلهًا بعضَ الشيء، لَم يخبرني صديقي العزيز جوجل بأنّ المُغتربينَ هم ضحايا أنفسهم، لن يجدوا من يربّت على كتفهم إن بكوا، أو يُمنى ترفعهم إن

سقطوا، نعم، تلك العشر كيلوات كانتْ كفيلةً بأن تُخبرني أنّ البحثَ عن أبسطِ الأمور يبدأُ بالسؤالِ أولًا والتيقن التام من إجابته، لأعرفَ بعدها بأنّ محل الهواتفِ النّقالة يبعد مسافةَ بَصْقةِ فمي من سكني، وأنّ المسافة التي قطعتُها لم تكن لمحلِ الهواتِفِ أصلًا، بل كانتْ لغرضٍ آخرَ لن تتوقعوهُ البتّة، لأكتشِفَ بعدها بأنّ محرّك البحث أرشدني لموقعِ تدليكِ الأجسام تقومُ به نساء متخصصات، وكلهُ بسببِ حرفٍ واحدٍ سقط سهوًا بمحركِ البحث، بدلًا من massagemessage

استبدلها جوجل الذكي ليقودني نحوَ منصةِ الإفلاس. دفعتُ حينها خمسةَ عشرَ دولارًا للتكسي الذي قلّني من ذلك المكان إلى محلِ سكني، والتي تُعادلُ ستةَ ريالاتٍ عُمانية!

*وقفة فكرية

أمريكا لم تكن بتلك السهولة كما ظننت ، كنت أظن أني ساجد هناك أحلامي وأماني وطموحاتي

فقط ، كنت أظن أني سأجد الطريق معبد لكل هذا ، لم أكن أتوقع أني سأجد هناك ما لم يكن بالحسبان ، كتلة بشرية ثقافية ضخمة ، تحوي في طياتها بكل إختلافاتها ومزاياها ما يمكن أن ينصدم مع تكويني النفسي والاجتماعي والثقافي ، لم ترحمني الغربة منذ البداية ، ولم أكن أتوقع أني سأجد صدمة قوية ثقافية من هذا القبيل ، حيث تعد الصدمة الثقافية للمبتعثين من أحد الأسباب الرئيسية في الردود السلبية لديهم ،حيث تدفعهم إلى أما الرذيلة ، عندما يجد نفسه غير قادر على

المقاومة ، فيصبح كما ذكرت سابقا عاشقا فاحشا ، أو سكير محترف ، أو أنه يختار الطريق الثاني فينغلق على نفسه ، ويشعر بالنقص والعزلة عن الآخرين مما يدفعه أن ينبذ الكل ، وذلك نظر للإختلافات الثقافية والاجتماعية والدينية التي تجدها ، وليس العرب من يعاني من هذه الصدمة الثقافية فقط ، بل من أشهر الصدمات التي يعاني منها اليابانيين مثلا تتولد لديهم متلازمة تعرف بمتلازمة باريس ، وذلك حين رؤية باريس على الحقيقة ، فكذلك العرب المسلمين الزائرين للدول

الغربية ، يجدون صدمة حضارية وثقافية وإجتماعية من النوع الذي يهز المعتقد والفكر والعادات والتقاليد وذلك لإنتقالهم إلى بيئة أخرى غير بيئتهم ، وكانت هذه أحد العثرات الرئيسية التي وجدتها أول ما بدأت في التأقلم في الحياة هناك ، لكن وصية والدي ، ودموع أمي هي من كانت الدافع الأساسي لي للصمود ، واللجؤ إلى الله تعالى والتقرب منه ، ودعائه أن يلهمني الثبات واليقين.وليكن في معلومنا أن مصطلح الصدمة الثقافية جاء أول ما جاء على لسان أمريكي يدعى

كالفيرو أوبيرغ وذلك عام 1954م.لم أكن بمعية

أحد ، ولم أجد غير فتات من بعض الأصدقاؤ ،

لذلك كانت الوحدة هي التي تنهش لحمي ،

وتجردني من كل سعادتي ، ربما لم أمر بمرحلة

العسل تلك التي يقول العلماء النفسيين أنها أحد

مراحل الصدمة الثقافية ، ربما أن الوحدة ،

والغربة وعدم فقهي شئ في لغة وثقافة امريكا ،

وضعني في ذلك الموقف ، لكني لم أشاء أن

أنحرف مثل البعض أو أتقوقع على نفسي كالبقية

، بل جابهت كل الصعاب ، رغم بكائي وقلة

حيلتي إلا أنني تمكنت أخيرا من النجاح ، وهذه هي مرحلة التأقلم التي قال بها العلماء والتي يمر بها المغترب.

*سؤال وجواب

طالما أننا عرفنا بأن المغترب يمر بمرحلة تسمى صدمة ثقافية في فكره وذاته ، وطالما عرفنا أن أثرها قد يكون العزلة من ناحية أو الرذيلة من ناحية أخرى ، السؤال الذي طالما حيرني وهو

الذي سيفيد القارئ العزيز لا محاله هو كيف نتغلب على هذه الصدمة الثقافية أو نحترز من وقوعها؟ ، لابد على المغترب أن يكون متهيئ نفسيا قبل الذهاب إلى بلاد الغربة بأن يقرأ كثيرا في أفكار وعادات وتقاليد الشعب الذي سيبتعث إليه ، لابد أن يكون على إطلاع تام ويتوقع بعقله المتنبئ بما سيحصل هناك . لأن ذلك يجعله مهيئ أن يستقبل ما سيستقبله من إختلاف عادات وتقاليد وأفكار ، ولابد له أن يجلس مع أشخاص سبق لهم السفر سابقا والإغتراب ويسألهم ويناقشهم عن ما

سيحصل له هناك وما سيحتاجه ، حتى يكون على دراية تامة بكافة أوجه الواقع هناك.أما عندما يصل إلى الدولة الغربية فيجب عليه حتى يقلل من حدة الصدمة الثقافية أن ينخرط في الأندية والفعاليات سواء التي تقيمها أندية دولته أو الفعاليات والأنشطة التي تحصل في حرم جامعته وذلك لزيادة التواصل وكسر حاجز اللغة التي يظن أنها صعبة مما يهيئ له تشكيل صداقات ويكون عضوا متفاعلا هناك ، كما ينصح الخبراء بأن يقضي وقت فراغه في الرياضة وممارسة

الهوايات المفيدة حتى لا يجد وقت فراغ ينهش فكره وعقله.

*نصيحة

أفتخر بهويتك وعاداتك وتقاليدك ، أفتخر بدينك ومبادئك ، وتيقن أن الأخلاق هي سيدة كل المواقف ، لا بأس أن تأخذ من الثقافة المغايرة لك ، فالحكمة ضالة المؤمن أنما وجدها فهو أولى بها ، لكن الأغرب أن تنسل من مبادئك وتنسلخ منها كما تنسلخ الأفعى من جلدها ، وهذا لا يمنعك من

أن تحترم الطرف الآخر وتتقبل فكره بصدر رحب ، أنفتح على تجارب الآخرين ، تقبل الإختلاف ، بذلك تنجو من ما يسمى الصدمة الثقافية.

فقدٌ وضَجَر

تمرُ بنا الأيام والأشهر، جمعتني الأيام الأولى

بأصدقاء جُدد، بحلوهم ومرّهم، بعاداتهم

وتقاليدهم، بثقل دم أحدهم وخفةِ دم الآخر. إلى أنِ

استقرت بنا الأوضاع بسكنٍ رديءٍ جدًا.

هذا السكن كان كفيلًا بأن يضعنا في مواقف

مشبوهةٍ كثيرًا، مواقف محرجة، مبكية، وأخرى

جريئةٌ جدًا.

من المواقفِ المُخيفةِ التي لا زالت محفورةً

بالذكرى، كنا نتسامرُ بغرفةِ أحدِ العمانيين إلى

وقتٍ مُتأخرٍ جدًا، وما أن بلغَتِ الواحدة بعد

منتصفِ الليل، إلا ونتفاجأ بقدومِ رجلٍ أسمرَ

أشعث، رثّ الثياب، ضخم، كاد أن يُفجرَ باب شقةِ

صديقنا، فتح الباب بكل ما يحملهُ من قوة، الجميعُ

بصمتٍ تام مخافة أن يكون حاملًا لمسدسٍ

ويفرغهُ برأسِ أحدنا!

الحاصلُ بأنّ هذا الرجل قد أخذ قدحًا من الشامبانيا

وكانت كفيلةً بأن تضعه موضع المترنحِ السكّير!

.. مرّ ذلك اليوم بحلوهِ ومرّه

عرّفتني تلك الأيام بصديقٍ هادئٍ جدًا، ذو خلقٍ حسن، جميل المُحيّا، مُبتسم دائمًا، الأمر الذي جعلني منهُ مقربًا بعضَ الشيء .. لم أكن ذلك الشخص المتعمق بعلاقاته مع من يخالل ويُصادق، بل أدع الأيام تتكفل بذلك.. لم تمضِ قرابة السنة الأولى من معرفتي به، ولكن كانت كفيلةً جدًا بأن تكشفَ لي معدن هذا الأصيل النبيل!

ما أشرقت شمسُ صباحِ يوم الجُمعة إلا ويصلني

خبر وفاة والد هذا الرجل الذي لم يرَ والدَه منذُ

سنة

:اتصل بي عمّه متوسِلًا قائِلًا بلكنتهِ المحلية: ا

"تجمّل فينا عن الولد يجيه شيء، خبره بطريقتك"

بأمانة، لم أستحمل نبرة صوت عمّه وهو يُخبرني

باكيًا، واضطررتُ بأن آخذه بعيدًا عن المكان

!الذي كُنا فيه

كم هو

مؤلمٌ جدًا أن تكونَ بعيدًا عن أهلك وأحبائك

!وتصلك فاجعة خبر من تحب

لا تتصورون كمية الحُزن المُخبأ في القلب،

!المُترجم على شكل دموعٍ من دم

لا أُخفيكم بأنّ هذا الموقف كان من أوائل المواقفِ

الصعبة التي مرّت

!عليّ خلال فترة الإبتعاث

:يا من تقرأ الآن

العصفورُ الذي حملَ تحتَ جناحيهِ عذابَ

المسافات،

!غنّى عن الحنينْ، فبكت شجرةٌ في صدري

*وقفة فكرية

على الرغم من قساوة الغربة وشدتها وثقلها على النفس إلا أنها علمتني شيئين عظيمين أحدهما عن أن القدر أمر لابد منه ، وأن الصديق الوفي عملة نادرة في هذا الزمن ، نعم الصديق الوفي عملة نادرة قد تمنحك إياه الحياة على مضض وقد تحرمك منه طيلة بحثك الكوني ذاك ، سئل رجل

حكيم هل لديك صديق ، فقال وأنا أبحث أربعين سنة لم أجد إلا نصف صديق ، فعندما بلغ بعض الحكماء ما قاله ، ردوا : طوبى له ، أوجد صديقا ، فأنا أبحث طيلة عمري ولم أجد ربع صديق ، الأصدقاء معادن لا تنكشف إلا في المواقف

والرسول ﷺ يشبه الجليس الصالح بحامل المسك الذي يصيبك منه رائحته الطيبة ، ويشبه الجليس السوء بنافخ الكير ، ولولا عظم الصديق لما كان هذا التشبيه ، ويقول خبراء التنمية البشرية أن البيئة التي ينشأ فيها الشخص والأصدقاء الذين

يحيطون به يؤثر هذا على طموحاته وأهدافه ، لأن البيئة معدية ، ويقول أحد العماء المشهورين أن أحدد أسس أختيارك لصديقك أن لا يكون أفضل منك فتنحبط عندما تدرك أنه لا مجال للوصول له ، ولا يكون أسوء منك فتنغربنفسك وتتراخى ، بل أن يكون في حدود إمكانياتك وقدراتك ، حتى تتعلم منه وتستفيد ، والصديق الصالح يساعدك في تشكيل معظم قيمك وطموحاتك الذي تبحث عنها ، لذلك فإني كنت على قدرا من الحظ بأن أهداني الزمن صاحبا

رائعا مثل صديقي ذاك ، وهذه أحد هدايا القدر لي ، أما الشئ الثاني الذي علمتني إياه الغربة في بداية فترتي أن القدر أمر رباني لا مناص منه ، قد يصيبنا في مقتل ، وقد يمسك اليد التي تؤلمنا ويلويها ، فالإنسان مسير في معظم حالته ، وهذا لا يلغي أنه مخير في خضم هذا التسير ، فصديقي الذي فجع بأمر وفاة والده ، وإن كان مسيرا في مثل هذا الظرف إلا أنه مخير قبل حصول هذا وهو أن يتواصل مع أهله كل يوم مرة على الأقل ، القدر في الغربة لا يرحم ، كلنا بحاجة إلى قلب

صلب يتحمل النوائب الحالكة في مثل تلك الظروف ، القدر وإن لم نعلم ما الحكمة منه إلا أنه كله خير كثير من الله تعالى ، الأولى أن نستقبله بقلب صبور ولسان شكور.

*سؤال وجواب

تعرفنا من خلاق الوقفة الفكرية على أن القدر أمر لا مناص منه ، ولكن قد يضعنا القدر في موقف أحيانا نضطر فيه أن نختار بين قيمتين رئيسيتين

من قيمنا ، فأيهما سنختار؟أيهما أهم لديك أسرتك أم دراستك؟ ودعونا نضرب لذلك مثالا ، إذا كانت أمك مريضة جدا في المستشفى وقد أبلغت ذاك في لحظة يكون فيها عندك أداء إمتحان نهائي ، هل تؤجل الإمتحان ، وتتأخر عن الخطة المرسومة ، أم تذهب لزيارة أمك في المستشفى ، قبل أن نجيب على هذا السؤال نتيقن أن القدر أمر من أوامر الله تعالى وهو لن يمهل أحد سواء ولي صالح أو إنسان طالح ، متى ما جاء فإنه لا مناص منه ، كما أن القدر أمر خارج عن إرادتي

فإنه صعب التنبؤ به ، لأنه من خبايا الله تعالى التي لا يعلمها إلا الله ، لذلك حين تقرر أيهما أولى في الإهتمام أمك المريضة أم دراستك ، فإنك لابد أن تفكر في المستقبل لا الحاضر ، إذا أن تأخرك في الدراسة أمر وإن كان سيئ فإن حدوث أو حصول شئ لوالدتك لم يكن بالحسبان أمر أسوء منه ، ونحن هنا الآن نقارن بين شيئين سيئين ، وكلما قلت خسارتك وإن كانت موجودة فأنت منتصر ، كما ان الإختيار يعتمد على توفر الفرص ، فإن كانت هناك فرصة أخرى مستقبلية

أن تقوم فيها بإعادة إمتحانك فإنه أهون بكثير ، من رحيل أمك من الدنيا ولا تجد فرصة أخرى لبرها وتوديعها ، لذلك الأمر كله وإن كان مسير بفعل القدر فإنك مخير حتما في البداية.

*نصيحة

لتعلم أيها القارئ النهم ، أن القدر موجع أحيانا ومفرح أحيانا أخرى ، تعلم من القدر أن الأيام دول ، لا تثبت على شئ ، من سره زمن ساءته أزمان ، وتيقن يا صديقي الغالي أن الصديق

الحسن والجليس الصالح جزء لا يتجزأ من الحياة السعيدة ، ولولاه لظل الإنسان حبيس أوهام الوحدة ، تنهش بلحمه في الغربة ، لذلك فإن كان شيئا يخفف وطأة آلام الغربة وضرائبها فإن الصديق الوفي الحنون هو أحد عواملها ، فتمسك به في وقت السراء يكون لك خير عونا في وقت الضراء ، وتأكد يا عزيزي أن أولوياتك وقيمك تحددها الفرص وأنك مخيرا فيها لا مسير.

أنا وأصدقائي

في كل مرةٍ نجتمعُ فيها نحنُ كمبتعثين بغرفةٍ

مُربّعة، نتكوّرُ عليها كيتامىٰ، فقدوا أُمهم

.. وينتظرون وجبة عشاءٍ من أحدِ المارة

في كل جلسةٍ نلتقي فيها يقترح أحدُ الزملاء

موضوعاً لنتناقشه؛ وكانت ثلاثة أرباع حواراتنا

عن الزواج - كما تعلمون نتحدثُ عن ما ينقصنا -

ولا أُخفي عليكم بأنّ اللحظة التي يُذكر فيها

الزواج الجميع يسكت وينصت كطفلٍ بكى،

وأعطته أمّه قطعة شوكولاته فسكت بعدها!

الجميع يُدلي برأيه، فمنهم من يقول بأنّه سيتزوج

فتاة عشرينية شقراء -في أحلامه-! ومنهم من

يقول لا أريد فتاةً تعمل، ومنهم من يقول أريد فتاةً

نرجسيةً تطبخ ! و و و و الخ!

إلى أن جاء ذلك اليوم الذي كنا فيه برحلةٍ

جماعية، دربُها طويلٌ جداً؛ الجميعُ بحالةِ سكونٍ

تام، إلى أنِ انتفض أحدهم قائلاً:

سأسألكم سؤالاً؛ وأرجو من الجميع أن يكونوا

جادّين في الإجابة..

هل تشعرون بأنّ فترة ابتعاثكم هذهِ زادتكم قُرباً

من الله أم أبعدتكم عنه؟

الأول:

أبعدتني عنِ اللهِ كثيراً؛ ولكنني تعلمتُ درساً!

رأيتُ بأُمِّ عيني نتائج تحريم الله لبعض الأشياء؛

ولم أكن أعرف أسباب تحريمها إلا عندما ابتُعثت!

الثاني:

أبعدتني عن الله؛

لم أَعُد أعطي للأشياء أهميةً كبرى؛ كالصلاة في

وقتها، والأذكار التي اعتدتُ قرائتها بعد كُل صلاة

! في المسجد

:الثالث

لم أجد ذلك الرادع الذي يردعني من فِعل بعض

!التوافه التي أظنها هيّنة وهي عند الله عظيم

الكُل أدلى بدلوه، وكانت جلسةً بمثابة مُحاسبة

النفس،،

ولكن؛

" عادت حليمة لعادتها القديمة"

عُدنا إلى مناقشة موضوع الزواج في الأخير،

وللأسفِ الشديد موضوع محاسبة النفس لم يتعدى

لنصف ساعة فقط، أما الزواج فأظُنُ بأنّه تعدّى الساعتين!

*وقفة فكرية

هذه القصة البسيطة التي تعرضنا لها فهي تنقل لنا أمرين جليلين أحدهما أمر محاسبة النفس في أي مكان ، لاسيما حينما يغترب الإنسان ، لأنه في الغربة يبتعد عن مهد الإيمان وأساس الإسلام ، شبه الجزيرة العربية ، والبيئة لها دور كبير في

تذكيرك إن نسيت وتصحيح مسارك إن ضللت ،

لذلك فإن محاسبة النفس في الغربة من الأمور

التي ينبغي تداركها كثيرا ، حتى لا تغفل النفس

وتتزحلق في مهاوي الردى ، أما الأمر الآخر

الذي ذكرنا به المقال أو القصة هو أهمية الزواج

في الغربة بالنسبة للشاب وخاصة المغترب ، لذلك

دعونا نتكلم أولا عن أمر محاسبة النفس في

الغربة ، حقيقة لا يخفى على ذي لب ما تفعله

الغربة في الإنسان ، وخاصة لدول ليس الدين

الإسلامي فيها هو الدين الأساسي للدولة ، فتجد

الإنفتاح الجنسي والرذائيل إقترافها فإنه أسهل بكثير من كل شئ ، فالناس هناك تشرب الخمر كأنه ماء ، والسكارى يملؤن الشوارع سواء من العامة أم من العلماء الجهابذة ، الكل يشرب هناك ، وحقيقة لو لم يكن للإنسان رادع يردعه من دين وإيمان ، فإنه لن يمنعه شئ من الإنجرار خلف هذه الرذائل والوقوع فيها ، وخاصة أنه في دولة حرة مثل أمريكا ، والحقيقة الموجعة أن المساجد هناك قليلة جدا ، والمسلمون قليلون أيضا ، لذلك ففرصة أن تتمسك بدينك هناك في تلك البيئة

الشاذة فإنها فرصة صعبة جدا ، والقابض على دينه في تلك البقعة كالقابض على الجمر ، وحقيقة تعجبت من أصحابي الذين يقولون أن الغربة أثرت بالسلب على إيمانهم ، رغم أنها درس جيد للناس تجعلهم يدركون نعمة الإسلام وأثره على المجتمع وأهميته في الحياة ، لذلك فإن الناس في الغربة ثلاثة أصناف : صنف ضعيف الإيمان يجره ضعف إيمانه إلى الإنحراف ، ويمكن تفسير رغبة البعض في الإنحراف هناك ، هو رغبتهم العارمة في تجريب كل شئ مختلف ، لأن

الممنوع في نظرهم مرغوب، والصنف الثاني ، صنف دفعه إيمانه إلى الإعتبار بحال الكافرين وما آل إليهم مصيرهم ، وهذا صنف أقواهم وأرزنهم وأقربهم إلى الحق ، وصنف آخر لم يتغير لأنه لم يجد الوقت المناسب ليفعل كل ذلك ، وهذا صنف المشغولين بالعلم والدراسة ، لذلك فإن محاسبة النفس في الغربة لها أهمية كبيرة وخاصة حتى يتدارك الغريب نفسه هناك ، فينقذ ما يستطيع إنقاذه.الموضوع الآخر الذي تحدث عنه النص هو موضوع الزواج وأهميته للشاب

المبتعث ، فالزواج وجاء سواء للشاب المبتعث أو غيره ، ولكن للشاب المبتعث أكبر الحاجات في الزواج أكثر من غيره ، نظرا لكل الفتن والشهوات التي تحيط به ، لذلك فإن أهمية الزواج تكمن في صونه للشاب من الوقوع في الحرام ، وضبط نفسه والإلتفات لدراسته وعمله هناك دون الإلتفات لسفاسف الأمور ، وهنا تكمن أهمية الزواج للشاب المبتعث ، حيث تمنحه الإستقرار وتحميه من الرذائل والوقوع فيها ، لاسيما أن البيئة الموجود فيها هي بيئة منفتحة جنسيا.حيث

يورد بعض علماء علم النفس أن من أهم العوامل التي تحمي المغترب من البيئة التي يعيش فيها ، وتقلل من الصدمة الثقافية التي يخوضها هو الزواج ، فهو استقرار وسكينة وراحة وحام للمغترب من الزلل.

*سؤال وجواب

بعدما قرأنا إختلاف الشباب حول الزواج ، وحول محاسبة النفس ، وأنواع النفس في ذلك ، قفز لذهني سؤال عن الزواج ، وهو ما العمر المناسب الذي نقول أنه من الأنسب أن يتزوج فيه الشاب؟هل هناك عمرمعين أنسب عن غيره للزواج؟هل يدرك الشاب هذا العمر؟ماذا يفعل لو فاته الإنسان القطار في هذا العمر؟هل الزواج المبكر هو الحل في الغربة ، لاسيما أن المغترب يغترب وهو في سن صغيرة وقد دخل في السن القانوني للزواج وهو عمر 18 سنة ؟، الأمر كله

حين نجيب عليه فإنه يختلف من شخص لآخر ، فشخص قد يختلف عن شخص آخر في حاجته للزواج ، فالأشخاص ليسوا نفسا واحدة في كل شئ ، ولكن الكل يتفق أن الزواج له أمد معين أن تجاوزه قد يكون هناك مشاكل يسببها للطرفين ، فالزواج أقل من 18 سنة له تداعيات أكثر من الزواج في سن أواخر الثلاثين ، ففي بداية سن المراهق يكون الشاب غير ناضج فكريا ، ولا يعرف جيدا ما هي المسؤوليات والواجبات التي يحملها إياه الزواج ، ويكون غضا غير قادرا على

تحمل كل تلك الأمور ، وقد يقرر قرارا يرى أنه غير مناسب بعد فترة ، لذلك فإن قرار الزواج الأفضل لو يتأخر حتى يصل لعمر بداية العشرينات تقريبا ، حينها تكون النفس قد نضجت ، ويكون التفكير قد إكتمل ، لذلك فيقول الخبراء أن أفضل سنا للزواج هو ما بين منتصف العشرينات إلى بدايات الثلاثينات ، ولكن لا يمنع هذا أن يتزوج الشاب النغترب قبل هذه الفترة إن كان بإمكانها تحمل المسؤوليات في تلك الفترة ،

أو رأى أن الزواج في تلك البيئة له وجاء من أخطار كثيرة قد يسببه لها ترك نفسه عازبة.

*نصيحة

الغربة بحر كبير تتلاطم أمواجه بقوة ، والمغترب لابد أن يكون سباح ماهر ، ولكن يكون ذلك إلا بأن يتمسك بمبادئه ودينه وعاداته وتقاليده في خضم تلك الأمواج التي تتلاطم به ، فإن كان الزواج هو الحل الأنسب الذي يعوضك الأهل والأحباب ، ويمسك نفسك من الولوج في عوالم

الرذيلة فخذ به وتوكل على الله ، والله سيعينك في ذلك ، اما إن كنت قادر على الصبر ، ونفسك أقوى مما تظن ، فلا بأس أن تؤجل الزواج إلى حين ، لكن تأكد أن البيئة التي أنت مغترب فيها توجب لك أن تكون في صحبة أحد ما ، فإما زوجتك أو أصحاب خيرين تختارهم أنت ، حاسب نفسك في كل مكان ، فمحاسبة النفس من دأب الصالحين ، وهي تقئ مزالق الباطل ، وتعين على الحق ، تمسك بدينك وأياك والمساومة فيه من أجل دنيا بالية ، ففي الأخير فأنت لست سواء

مغترب ، ولست جزاء من البيئة التي تعيش فيها ، ويوما ما ستعود أنت بكل ما فيك لبيئتك التي تربيت فيها ، فحاذر أن تكون غريبا حينها.فالغربة هي غربة القلوب والعقول وليست غربة الأجساد.

الأبيض : سكر أم ملح؟

مما لا يخفى على الكثير بأنّ الحياةَ المعيشيةَ في الخارج تقصمُ الظهرَ وتجعلُ الفقيرَ رديءَ أطباع، بل تجعلُ المغترب بين قاب قوسين أو أدنى.

المنحة الشهرية المُقدمة من الوزارة للمبتعثين كانت جيدة نوعًا ما إلى الحدِ المقبول لبعضِ المناطقِ هناك، ولكنها سيئة جدًا للبعضِ الآخر، مما تجعل على الأقل ثلاثة أشخاص يتشاركون غُرفةً واحدة، ناهيكَ عن سعرِ كيلو لحم الضأن،

وقطعةِ خبزٍ يابسة، أو قُل ساندويتشة لا تتعدى طول بنصر يدك.

هذا جميعه لا يهم، لا يهم البتة، الأهم من ذلك كله، بأنّ جميع المبتعثين -باختصار الأغنياء العمالقة- اضطروا لتعلمِ مهارة الطبخ، لكسبِ لقمةِ حلالٍ صحية وعافيةِ أكلٍ مرموق، الأمر الذي يجعل معضمنا يوفّر مبلغًا مقبولًا لسدِ احتياجاتِهِ الأخرى بدلًا من نزفها جلها على الأكل والسكن وغيرها ..

اليوم الذي بدأتُ فيه بتعلم الطبخ، ولا أدري إن

كان هذا الأمر صُدفة، إلا أنّ مجموعةً من الشباب العمانيين ممن سبق لهم العيش في تلك البلاد فترةً طويلة جاؤوا لزيارتي في يومِ العُطلة، وقررتُ حينها أن أطبخَ لهم برياني دجاج على طريقةِ أُمي الخاصةِ والخالصة! مما أذكرُه بأنني استغرقتُ قُرابَة الثلاث ساعات وأنا أشطفُ وأُلمِعُ الطبخ، آخذًا جميع المقاييس بكلِ حذر، مانعًا جميعَ الأصدقاء من مشاركتي في كل شيء. إلا وأنني وأتفاجأ بنتيجةٍ رهيبةٍ شكليًا، البرياني بدا وكأنه فعلًا من طبخِ أمي، إلا باختلافٍ بسيطٍ جدًا -

وربما لا يُذكر- وهو أنّ الأرز بدت عليه علاماتٌ سوداء، وبدلًا من أن أضعَ الملح، وضعتُ السُكر، مما غيرَ طعم الوجبةِ كليًا من برياني دجاج إلى قطعةِ كعكعةٍ مهروسة. ناهيكَ عن الدُخانِ الذي ملأ المكان برونَقهِ الخالص الممتزِجِ بالسكر الأبيضِ الذي سوّد يومي كله وجعلني في موقفٍ محرجٍ بين الأصدقاء، بعدما وعدتهم بطبخةٍ لن ينسوا طعمها مُطلقًا، إلا أنّ الأخير جعلهم يتناولون بيتزا بابا جونز بعد خيبةِ أملٍ مُطلقة بتناول وجبةٍ عمانية، إلا أنَ أبيض اللون ذاك أفسد

الآمال ونكب وجهَ صاحبه!

مؤلمٌ أن يكون أبيضَ اللونِ ذاكَ سكرًا، وأردتُهُ

ملحًا!

*وقفة فكرية

تعلمنا الغربة أمور كثيرة ، ومنها الإعتماد على النفس ، وخاصة فيما يتعلق بإحتياجتنا الشخصية ، الإعتماد على النفس يؤدي إلى الشعور بالإستقلالية ولا يكون هذا إلا بإمتلاك قدر كبير من المعلومات والخبرات التي تمكنك من إتخاذ القرار المناسب لتؤكد على إستقلاليتك.فمثلا إذا شئت أن تعتمد على نفسك في الطبخ مثلا ، لابد أن يكون لديك قدر كبير من المعلومات والخبرات

في الطبخ ، حتى تتمكن من ممارسة الطبخ بنفسك دون الإعتماد على الآخرين ، كما أن الإعتماد على النفس يؤدي إلى أن تكون أنت المسيطر على حياتك دون وجود مسيطر آخر يحاول تسيرها ، فلا أصعب من إنتظار أحد أن يقوم بالطبخ لك ، فالغربة معلمة جيدة تعلم المغترب الإعتماد على النفس ، فالإعتماد على النفس عزة وكرامة كما أنها تحميك من التذلل لغيرك ، ويحفظ لك مالك ونفسك ، وتعودك على تحمل المسؤولية والسيطرة على حياتك ، لذلك فإني

كنت منذ إغترابي محاولا تعليم نفسي كل شئ إبتداء بالطبخ إلى نهاية الأمور التي تستوجبها الغربة.الإعتماد على النفس هي أحد أعمدة النجاح ، ولابد أن يتعلمها الطفل منذ نعومة أظافره ، وهي أحد الأسس التي يعتمد عليها النجاح ولا يكون إلا بها ، والغربة تجعلك في معزل عن كل من كان يخدمك سابقا ، وتعودك على الإعتماد على نفسك وتعلمك كما قلت سابقا الاستقلالية والسيطرة على حياتك.

*سؤال وجواب

قصتي التي حاولت الإعتماد فيها على نفسي بالطبخ قصة ملهمة ، لكن لا تخلو من أخطاء ، وعندما تكلمت عن الإعتماد على النفس في الغربة فلقد كنت أعنيها ، وهذه أحد المعارف التي تعلمك إياها الغربة ، على الرغم من خطائي في الطبخ الذي مارستع في البداية إلا أن شعوري بأني لم أخطئي كان أحد الأمور التي حيرتني ، وجعل الكل يتعجب من شخصيتي ، هل فعلا الخطأ فشل؟هل يجب أن نحزن على أخطائنا أم

أن نفرح بها ؟ ، لتكن متأكد يا عزيزي أن الأخطاء علامة من علامات النجاح ، فلا يخطئ إلا من جرب ، والتجربة أحد الطرق الموصولة للنتائج الصحيحة إن تكررت المحاولات ولكن بصورة مختلفة ، لذلك فإن الفشل هو أحد الخطوات التي تكون في سلم النجاح ، ولا عيب من الخطأ طالما أننا نتعلم منه ، فهاأنا تعلمت الآن الفرق بين الملح والسكر من نضرة واحدة فقط ، ودون الحاجة إلى تذوق كل منهما على حدة ، وتعلمت من الإعتماد على نفسي كيف أقوم بالطبخ

لمفردي ، وكيف أتقن هذا ولقد نجحت في النهاية حتى عرفت بين أصحابي بلذة طبخي.لذلك فإن الخطأ ليس فشل ، ولكن كل هذا يعتمد على الفكر الذي يستقبل هذا الفشل ، فالناجح هو من يجعل فشله درسا يتعلم منه ، والفاشل هو من لا ينهض بعد كل سقوط ويظل في الأسفل.

*نصيحة

تعلم يا أخي العزيز أن الإعتماد على النفس أحد أسس النجاح ، قم بالسيطرة على حياتك ، رتب أفكارك وتولى زمام أمورك ، كن أنت المسؤول الأول والأخير عن أفعالك ، اتخذ قرارتك بتأني ، تعلم وأكسب خبرات كثيرة تؤهلك أن تكون أنت الوحيد المسيطر على حياتك ، لا تعتمد على أحد إلا في الأمور التي هي خارج سيطرتك ، وحاول أن تقلل منها دائما ، تعلم أن الفشل هو مزرعة النجاح وهو أحد أول الخطوات في سلم الفوز ،

تأكد أن أخطائك دليل على مثابرتك وعملك ، وحدهم الكسالى هم الذي لا يخطئون ، الخطأ أن أحسنت التعلم منه فهو نجاح ، لا تبالي بالسقطات التي تسقطها فإن بعد كل سقطة إن لم تنهض فإنك ستخسر معركة الإعتماد على النفس تلك ، كن ربان سفينتك ، وحدد أهدافك ، ولتكن لديك وجهة ملائمة تتعلم منها كيف تقود سفينتك لتوصلها إلى بر الأمان.وإن أخطأت يوما ما ، قلل من تأنيب ضميرك ، وتأكد أن الخطأ هو دب الناجحون فقط ، وأن الفرق بينهم والفاشلين هو التعلم والدافعية ،

أخطاؤك هي كالدوافع تدفعك للمضي قدما ، تعلم منها والنجاح بإذن الله حليفك.

أنت تعرفُ أمك جيدًا

في فصلِ الشتاء، بدأتِ الإختبارات النهائية، فقررتُ الذهاب لأحد مباني الجامعة الساعة الثالثة ليلاً لأسترجع ما حفظته وفهمته .. لم أكن أتوقع أن أجد أحداً هناك البتة! وكانت درجة الحرارة ما إن دخلتُ لمبنى الجامعة إلا .. C˚ تصل 0 وأتفاجأ بعاملتين كبيرتين في السن .. تنظفان المباني بتلك الساعة! لم أستوعب للحظة أنهما يعملان بتلك الساعة المتأخرة من الليل، وفي الحقيقة شدني الموقفُ للحديث معهما! فسألت:

الوقت جداً متأخر، وأنتما لا زلتما تعملان هنا! -

أليس عدلاً أن تعطيا ذلك الجسد راحة؟

لم تُجيبا .. فسكتُ خوفاً مني أنني تدخلتُ

بحياتهما الشخصية وغادر

بعد خمس دقائق؛ جاءت واحدة وقالت:

نحنُ أخوات، ابنها -وهو الوحيد- مُتّهمٌ بقضية

قتل! فحكمتِ المحكمة له بالسجن لمدة ٢٥ عاماً!

ليس لدينا مال فنحن فقراء، فإما أن ندفع كفالةً

وقيمتها ١٠٠ ألف دولار أو أننا نعمل ليل نهار

لفكِ أزمته!

هذا الموقفُ كان كفيلًا بأن يُرجع لي أيامي

الخوالي عندما كنتُ طفلًا لا يعي ولا يفهم،

عندما كنت صغيراً وأسمعهم يتحدثون عن الله ،

!كنتُ أظنهم يتحدثون عن أمي لجهلي القاصر

يقولون بأنه نور، رؤوفٌ، رحيم، جميل، حليم،

غفور، محبٌ وصبور، وأمي كذلك! حتى جاءنا

في إحدى الليالي شيخٌ من المدينة وأخبرنا بأنّ الله

يملكُ ناراً وسلاسلَ وعقارب وحيات وملائكةٌ

..غِلاظ، وجوههم مخيفة وبأيديهم رِماح

عُدتُ إلى البيت أرتجفُ خائفاً من أمي وذهبتُ إلى سريري دون أن أُقبلها؛ لكنها تبعتني.. تمددتُ على سريري حينها.. فبدأت بمسحِ شعري وسألتني عن تغير لوني، فسألتها إن كانت تملكُ عقاربَ وسلاسلَ وناراً سوداء! فابتسمت لي وقالت: أنت تعرف أمك جيداً ، بالطبع لا يا صغيري وما حاجتي لها؟ قلت لها: لو كنتِ تملكين كل هذه الأشياء وعصيتُك، فهل ستُعذبينني ؟ قالت: وأيُ أمٍ تُعذُب فلذة كبدها يا صغيري ؟

حينما ابتعدتُ عن أمي حزنتُ كثيراً، وبكيتُ بِحُرقة، حتى تشبّه لي بأني رأيتُ الله في المنام، وكانت ابتسامتُه أجمل من أمي، قال لي مُعاتباً :

لِمَ كُلُ هذا الحُزْنِ وأنا لم أَبتعد عنك؟

*وقفة فكرية

الأم دافع قوي للإستمرار وخاصة في الغربة ،

هي كل المشاعر التي تجتاحنا في لحظة وحدة ،

هل كل ما نتوق له في لحظة شوق ، وهي

المضحي الوحيد من أجل أن نكون بخير ، وهي

المانح الوحيد لسعادتها مقابل راحتنا وطمئنينتنا ،

الأمر جليل حين يتعلق الموضوع بالتضحية ،

فالتضحية في مضمونها هي أن يجتهد الإنسان في

بذل النفس أو المال لأجل غاية أسمى ولأجل

هدف أرجى ، وفي التضحية يكرس الشخص نفسه لخدمة الآخرين ، دون أن ينتظر مقابل منهم ، راجيا أن ينال ثواب قوة عظمى أقوى من ضعف الإنسان ، هي الكفيلة بأن تقدم له أجرا جزاء تضحيته ، فالأم الفقيرة الأمريكية التي ضحت من أجل ابنها رغم كبر سنها ورغم قلة ذات اليد ، دفعها حبها لأبنها ان تتحمل كل تلك الصعاب ، وأن تجابه المخاطر ، وأن تضحي من أجل فلذة كبدها وتقدم كل ما تملك وتسعى جاهدة أن تملك ما لا تملك من أجله وحده فقط ، متحملة

بذلك المشقة والألم المرفقة لتلك التضحية ، ولا أجل من مضحي مثل الأم ، فهي الرؤوف الرحيم ، وهي الحب والخير والسعادة ، وكل تلك المشاعر تدفعها دفعا لأن تكون أول من يضحي من أجل أعز ما تملك ، وإن كان إبنها مخطئا ، وهي التي لا تستطيع أن تميز بين الصح والخطأ حين يتعلق الموضوع بفلذة كبدها .علمتني هذه القصة أن الأم شئ عظيم ، وإحساس رائع ، أنها هي الوحيدة التي بإمكانها أن نطلق عليهه المضحي الأعظم من أجل سعادة أبنائها ، لأنها

الوحيدة التي تدرك حجم وغلا تلك النفوس

الصغيرة التي تنبض بالحب لها ، وتبذلك كل ما

تملك دون مقابل ، والأصعب من كل ذلك أن تتألم

وتعاني في صمت ولا أحد بجانبها ، كل ذلك من

أجل فلذة كبدها الذي يدفعها حبها أن تكون بجانبه

حين لا يبقى أحد بجانبه.

*سؤال وجواب

تعرفنا من المقال السابق على أهمية التضحية ،

وتأكدنا مما لا يترك مجالا للشط أن الأم هي

القلب الرحيم الرؤوف الوحيد الذي يتحمل ألم التضحية من أجل أبنائها في سبيل إبقائهم سعداء وآمينين ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل التضحية وخاصة تضحية الأم في سبيل أبنائها يتعارض مع تربيتهم على تحمل المسؤولية؟هل لابد أن يكون هناك حدود للتضحية؟ أم أن التضحية مطلقة لا حدود لها ؟ ولكي نجيب على ذها السؤال لابد أن نتيقن أن التضحية هي أمر أختياري وليس إجباري ، ودائما تتجاوز الحدود التي بإمكان أي مرء تحملها ، وكهنا يكمن

عظمتها ، فالأم تبذل ما تملك وتجتهد في الحصول على ما لا تملك من أجل التضحية لأجل أبنائها ، ولكن لابد أن تدرك الأم أن التضحية لا تكون دائما مطلقة ، ولها حدود ينبغي على كل أحد عدم تجاوزها لأن في تجاوزها إشارة واضحة للغير أن يتجاوز حده معنا دائما ، فالتضحية دائما مقترنة بالكرامة والعزة ، وهي إن لم تحفظ هذان الاثنين فلا خير فيها ، ولابد أن نترك أبنائنا يتحملون المسؤولية على أخطاء أقترفوها حتى يتعلمون من هذه التجارب التي

يخوضونها أما أن يكون الموضوع مفتوحا على الغارب فهذا أمر لا أحبذه وخاصة حين تكون التضحية خارج نطاق الممكن ، أما أن التضحية فهو دافعها الحب والإهتمام ومتى ما كان الحب أقوى من كل تلك الظروف فإنه حينها لا مجال لأن نحد حدودا للتضحية ، لأن من يحب لا يملك قلبه ، والله لا يحاسب شخصا على ما لا يملك ، وعند هذه النقطة تتوقف كل القوانين عن العبور ، وتبقى حقيقة واحدة فقط هو أن حب الأم حب مطلق لا حدود له ، ومشاعر الأمومة مشاعر

كبيرة لا سبيل لحصرها وترويضها ، وهي تأتي بدون سبب أو مسبب ويكون لجميع الأبناء.

*نصيحة

تعلمنا من القصة والوقفة أن التضحية أمر عظيم ، وهي بذل للنفس والمال بخاطر دون وجود دافع يجبر الإنسان إلا دافع الحب ، وهي من الأم أعظم ، لذلك تمسك يا أخي العزيز بأمك ، فهي ملاذك الوحيد وهي رؤوفك الرحيم وخاصة في وقت الغربة ، ومشاعرها هي الزاد الوحيد لك في يوم

حالك يضيق عليك ، ولتعلم أن من يتربى على التضحية يتخلص من سلطان الهوى ومن نوازع الأثرة ، ويكون إنسانا متفاعلا وتقوي التضحية لديه الروابط الإجتماعية ، ولتعلم يا أخي العزيز أن التضحية ليست مطلقة وأن لها حدودا أما حين يتعلق الأمر بالأم فإن قلبها العامر بالحب هو المحرك الذي لا تملك أن تحاسبه.

جارٌ مُخلص

كنت عائدًا من المكتبة الجامعية وقتَ العصر، وعندما وصلتُ لمكان سكني، وجدتُ نوافذ سيارة جاري الصيني مفتوحةً بأكملها، على غيرِ عادته تمامًا! فذهبتُ مسرعاً لأخبرهُ بالأمر مخافةَ أن يتم سرقة ما بسيارته..

طرقتُ باب الغرفةَ وانتظرتُ كثيرًا، ولكن؛ لا مُجيب! طرقتُ للمرةِ الثانية والثالثة فإذا بزوجتهِ - الدكتورة- خائفةً تقول:

من على الباب؟

لم أخبرها، ولكن سألتها:

أين زوجك؟

فقالت بخوف:

من أنت؟

قلت لها: جارك الفلاني!

بعدها فتحتِ الباب، وكانت ترتجف بخوفٍ

ورعبْ، قلتُ لها آسف؛ ولكن جميع نوافذ سيارتكم

مفتوحة وأردتُ إخباركم بالأمر قبل أن يحدث أمرٌ

ما!

فقالت بنبرةِ حزنٍ وتعب:

زوجي اضطر للعودةِ للصين لوفاةِ أمّه،

واضطررتُ أنا قيادة السيارة بنفسي بالأمس

للذهاب لمقرِ عملي! وعدتُ متعبةً بالأمس ونسيتُها

مفتوحةً!

"شكرًا لك".. هي قالت!

بعدها غادرت،،

اليوم، أحدهم يطرق باب غرفتي وينادني بإسمي،

ما إن مددتُ يدي لأفتح الباب، إلا وأجدُ جاري

عائدًا من بلاده، ويحضنني متشكرًا لما فعلت! بل،

وأحضر لي هديةً قيّمةً جدًا!

زوجته- بلا شك- أخبرته بما حدث! وبالرغم من

مصيبتهِ الحزينة، إلا أنّه لم يعد حافِ اليدين!

*وقفة فكرية

لطالما كان الجار محط إهتمام الإسلام في كل مراحل حياته ، حيث أوصى جبريل بالجار حتى لكاد يورثه ، وقد أوصى القرآن أيضا بالإحسان إلى الجار حيث قال الله تعالى:(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) النساء:36.، وذلك لأهمية ما للجار من مكانة ومعزة في قلوب جيرانه ، وينبغي للإنسان المغترب أن يراعي حق

الجيره ، وأن يتعرف على أخبار جيرانه ويعرف عنهم ويهتم لأمرهم ويكترث لما قد يصيبهم ، وأن لا يبخل عليهم بالنصح والإرشاد ، وأن يوليهم إهتماما بالغا وعناية فائقة تجعله محط الإعجاب والثناء من قبل جيرانه ، والإهتمام بالجار هذا من باب الرفق والإحسان ومن باب الخير الجزيل والعطاء الباذخ ، وإكرام الجار هو من باب الإحسان إليه ، وللإحسان فضل كبير وأثر هائل على النفوس وصدق القائل حين قال :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

وكلما زاد إحسان الإنسان إلى جاره قويت أواصار المحبة والألفة ، وزاد تماسك المجتمع فغدى مجتمعا قويا فتيا ذو بنيان مرصوص ، وساد التعاون والتكافل فيما بينهما وخاصة إن كان الجيران من ذوي القربى ومن أصحاب ملة التوحيد.والرسول ﷺ حذر من أذية الجار وجعل إذائهم سببا في دخول النار.

*سؤال وجواب

عرفنا من القصة السابقة أهمية الإحسان إلى الجار في نيل استحسانهم ، والرفق بهم ، والعطف والحنو عليهم ، وعرفنا من الوقفة الفكرية فضل الجيران وأهمية الإحسان إليهم وأثر ذلك في تقوية روابط المحبة والألفة في المجتمع ، السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي حقوق الجار التي ينبغي عليك معرفتها سواء أكان الجار مسلما أم كافرا ، من ذوي القرى أم من غير أرحامك؟وما هي واجباتك إتجاههم؟ ، فمن حقوق الجار رد السلام عليه وإجابة دعوته إذا داعك ، وذلك لما لإشاعة

السلام من إسادة روح الألفة والمحبة والمودة والوئام ، كما أنه من حقوق الجار عدم أذيته وكف الأذى عنه ، فالمؤمن لا يؤمن طالما لا يأمن جاره بوائقه ، وهذا نص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما ينبغي على المسلم أن يتحمل أذى جاره ، فكف الأذى بإمكان أي شخص أن يقوم به ، لكن إحتمال الأذى لا يقوم به إلا من أوتي إيمانا راسخا ويقينا ثابتا ، كما ينبغى عليك وإن كنت في الغربة أن تسعى لقضاء حوائج جيرانك وتتفقدهم ، فكان الصحابة حريصون في هذا الجانب ، لما

له من دور في تعزيز روح التعاون بين الجيران ، كما ينبغي على الجار ستر جاره إن بدى له بعض مساؤئه او كشف عن بعض عوراته ، وأن يغض طرفه عنها .وكلما تمسك الإنسان بهذه الحقوق ينبغي له أن يدرك أنها تؤتي ثمارها ولو بعد حين ، فطالما استعبد الإنسان إحسان.

*نصيحة

للجار حقوق ، وعليه واجبات ، لذلك فعليك أن تتمسك بجارك ، أكرمه وكف أذاك عنه ،

وتواضع له وساعده ، غض طرفك عن مساوئه وأسعى في قضاء حوائجه ، كن له رحيما وبه رؤوفا ، وتخلق بالأخلاق الفاضلة وأنت تعامله ، وإن كان كافرا فواجبك إتجاهه أوجب من جارك المسلم ، لأن جارك الكافر أن رأى منك ودك وبرك وعطفك وحنانك ورحمتك سعى جاهدا أن يكون مثلك ، فهذه دعوة منك إلى الإسلام ولو بصورة غير مباشرة ، تمسك بأخلاقك وأحسن إلى الناس ولو آذوك ، فرد الإساءة بالإحسان لهو أعظم ما تتخيله وترجوه ، فالمسلم بين الناس

بأخلاقه ، وهو الذي يرتجى منه إصلاح المجتمع ، وهو الوحيد المبادر لفعل الخير وإن قل ، ولدرء السيئات وإن كثرت.

قطعة كيتكات

عامل النظافة -الكبير في السن- الذي اعتدتُ رؤيته فور مغادرتي الشقة وهو ينظف المكان، كان يتصببُ عرقًا وملامحُ التعب تبدو كرسمةِ فنّانٍ على وجهه، وكنتُ كلما أمرُ بجانبه، أقل له بأنّ رائحةَ المكان جداً جميلة -وإن لم تكنْ كذلك- وهذا إن دلَّ فإنما يدلُ على جمالك ونظافتك! وكانت ردة فعله أشبه بفرحةِ طفلٍ فور إعطائهِ مائة بيسة، وكان يقول:

Thank you, you really made my day!

شُكرًا لك، جعلت يومي جميلاً!

بعدها أُغادر،،

نسيتْ .. كنت في كل مرةٍ أذهب فيها للجامعة،

آخذُ معي قطعةَ كتكاتٍ مُحلاةٍ بشوكولاتة البندق،

وكنت كلما أراهُ أعطيه بعضًا منها..

إن لم تخني الذاكرة، فإنّ هذا الشيء استمر لمدة ٦

أشهر! ولكن؛ بالأمس كنت مستعجلاً ومتوترًا

قليلاً بسبب تأخري عن موعد الإختبار!

ما إن رآني، قال لي: -بنبرةِ حُزن-

هل فعلتُ شيئاً أزعجك؟

قلتُ: لا

قال: إذن لِمَ لَمْ تقل لي بأنّ رائحة المكان جميلة؟

قلتُ: آسف، لأنني كنتُ متوتراً قليلاً بسبب اختبار

اليوم!

قال لي بعدها:

أتعلم بأنني في كل صباحٍ أنتظرك، وأنتظر منك

عِبارة:

"رائحة المكان جداً جميلة وهذا إن دلّ فإنما يدلُ

على جمالك ونظافتك! "

وهذا اليوم بالذات كنتُ أنتظرها بفارغ الصبر

لتخففَ عني ما ألمّ بي لأنني جدًا مُرهق! وهذه

العبارة لم يقل لي إياها أحدٌ منذُ أول يومٍ لي هنا

منذ سنتين!

وكنتُ في كل مرةٍ أودُ أن أسألك من أنت، أتردد

وأستحي، كوني عامل نظافة، وكنتُ أشعرُ بأنك

مدير شركةٍ أو لك منصب عالٍ في إحدى

المجالات!

ما إن أخبرته بأنني مُسلم مُبتعث، وأنني لا زلتُ

أدرس في الجامعة، بكى، وقال:

-كنتُ على يقينٍ بأنك لستَ منا، لأنّ الذي منّا

ليس بجديرٍ على إعطاء شخصٍ برذولٍ مثلي

قطعة شوكولاتة ويسعد يومه بتلك العبارة، افتخِر

كونك مُسلمًا لأنك حقًا جميل هكذا—

*وقفة فكرية

إن الإحسان من أعلى مراتب الإيمان ، وأفضلها منزلة ، وإن دل على شئ فإنما يدل أن المحسن يحب ربه ويخافه ، فيرى آثار نعمة الله في خلقه ، ويقدرها ويبجلها ، ويرد هذه النعمة بعمل الحسنى ، والإقدام على فعل الخير للناس ، ولأهمية الإحسان جاء ذكره في القرآن الكريم تارة مقرونا بالإيمان وتارة مقرونا بالتقوى ، والإحسان نوعان قد يكون إحسان الإنسان مع خلقه أو إحسان الإنسان مع ربه ، وإحسانه مع ربه هو أعلى

مراتب الإحسان ، والمحسن يجني ثمار إحسانه في نفسه بهجة وطمأنينة يجدها ، وتبعد عنه الكدر والضيق والهم والحزن ، لذلك ينبغي على المرء أن يسارع في خدمة غيره ، وصدق الرسول حين قال من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والإحسان إلى الناس لا يكون بتمايز ، بل يكون مع الكل فقيرهم وغنيهم ، مؤمنهم وكافرهم ، والإحسان المرء لأضعف خلقه دليل على جمال وكمال أخلاقه ، كما أن من الإحسان ليس بالفعل فقط كأن تتودد له بقطعة من

الشوكولاتا مثلا لعامل تنظيف ، والإحسان أيضا بالقول ، فالكلمة الطيبة مثل الغرس الذي يؤتي أكله كل حين بأجود الثمار ، وهذه من أبواب الدعوة إلى الله تعالى ، والكلمة لها أثر كبير على النفس ، فهي الترجمان لما في القلب والفكر من خواطر ، وهي حلقة الوصل التي يتعارف عليها الجميع بمختلف مشاربهم وألوانهم وأشكالهم ، ولها وقع كبير وعظيم على النفس ، وينبغي على المرء أن يكون رسول دينه بالكلمة الطيبة والإحسان إلى الناس .

*سؤال وجواب

تعرفنا في الوقفة الفكرية السابقة على أهمية الإحسان وأثره العظيم في ترويض النفوس ، وجلنا الخواطر في أهمية الكلمة الطيبة وأثرها على النفس ، السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما هي فوائد الإحسان التي يجنيها الإنسان من إحسانه ، ولماذا الإحسان مهم جدا في تحسين نفسية المرء ؟ وهل للإحسان دور في تقدم الأمة ورقيها ؟ ، دعونا قبل أن نبدأ بالإجابة على هذا السؤال نعرج على قول ابن القيم في أهمية وفوائد

الإحسان ، حيث يقول :"(فإنَّ الإحْسَان يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، وتركه يوجب الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبن: ترك الإحْسَان بالبدن، والبخل: ترك الإحْسَان بالمال)" ، فإبن القيم يرى أن الإحسان سبب من أسباب إنشراح الصدر ، وجلب النعم ، ودفع النقم ، وانشراح الصدر يكون بدفع الحسد عن النفس وترويض النفس على حب الخير ومساعدة الآخرين ، فلكام زاد إحسان المرء لمن هم دونه بالأخص أورثه هذا سلامة الصدر

لمن هم أعلى منه ، وطهر قلبه من الحسد والحقد والكبر والغرور والعجب ، كما أن الإحسان مع الرب يبعد الإنسان عن المعاصي ويجنبه موقعتها حيث يقول ابن القيم في هذا:" (فإنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها)".

*نصيحة

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ، وترق لك أفئدتهم ، فالإحسان يشرح صدرك وييسر أمرك ويبعد عنك الضيق والحزن والهم والغم ، ويبعد عنك سوء الظن ، وتتقوى أواصر المحبة والألفة بينك وبين الناس ، وخاصة من هم أدنى منك مرتبة ، وهذه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ، وخاصة وقت انتشار الإسلاموفوبيا ، فالكلمة الطيبة رغم صغر حجمها فهي صدق ، والصدقة بعشر أمثالها ، ولها اهمية كبيرة فهي تطفئ

غضب الرب وتكفي الناس الهم والغم ، كن خلوقا في تعاملك في الناس ، وكن سفير دينك وبلادك ، فمحبة الناس كنز ثمين لن تدركه النفوس إلا إذا فقدته ، تمسك بروابط المحبة مع من تحب ، فهي ديدن المحسنين والله تعالى يجل ويعظم المحسنين ، ويرفع من مقامهم عنده ، وكلما زاد مقامك عند ربك ، نادى الله في ملائكته أني أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء والأرض ، ويضع الله له القبول فيهما ، ومحبة الناس تجلب الطمأنينة وتدفع مصارع السوء ، وكلما زاد حبك لغيرك

زاد عطاؤك وتقدمك ورقيك ، والله تعالى مع الجماعة متى ما تكاتفت ، ومن شذ عنها فقد شذ في النار ، والجماعة لا تقوى ولا تشتد إلا بإحسان المرء وخدمته لغيره.

.....يتبع